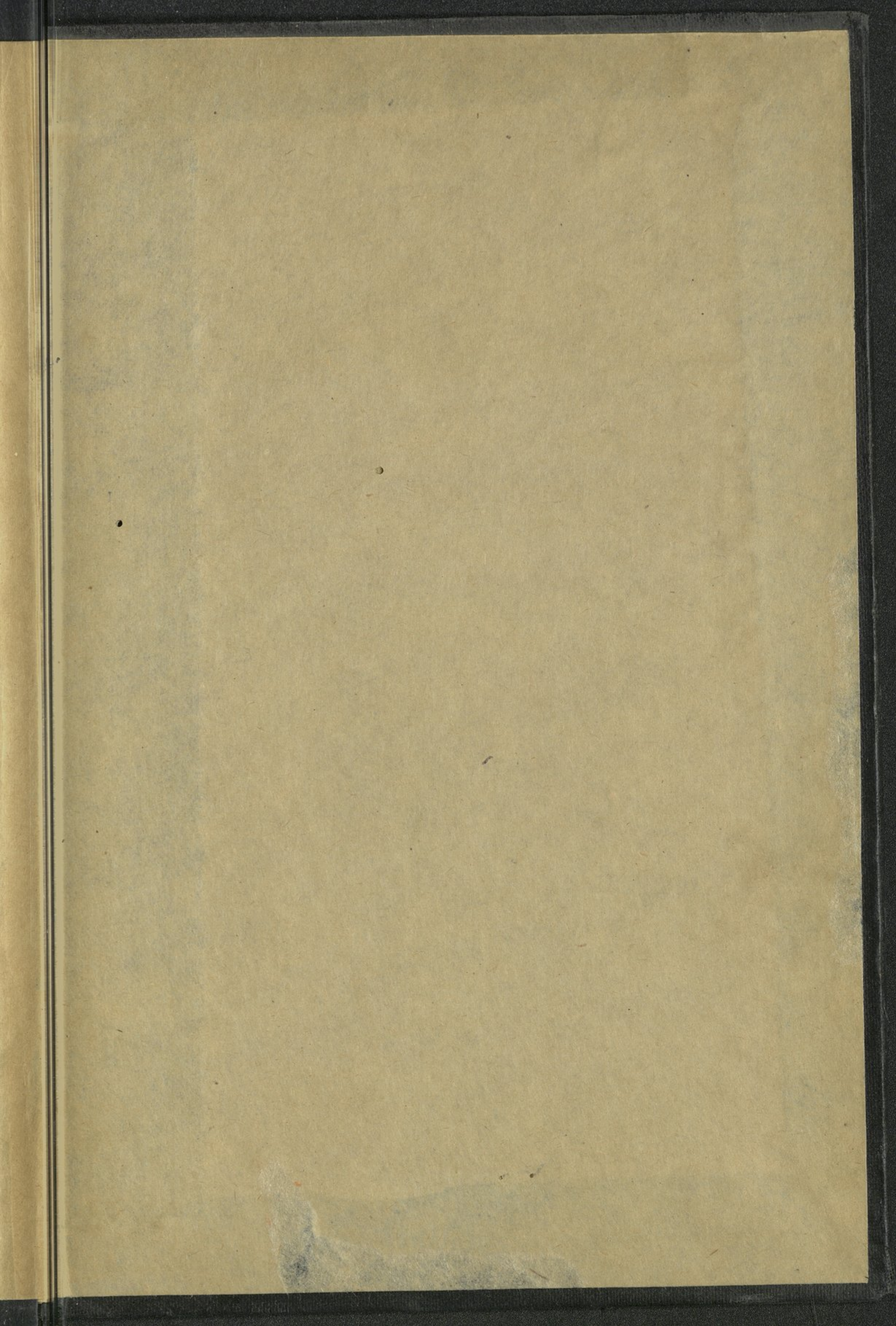
الدر النضيد

في

اخلاص كلمة التوحيد

الشوكاني





كتاب

الدر النضيد

في

اخلاص كلمة التوحيد

تأليف

الامام العلامة محمد بن علي الشوكاني

طبع على نفقة عبد الهادي نجل الاستاذ الشيخ

محمد منير الدمشقي

من علماء الازهر

الطبعة الاولى

نشرت في المجلد الثاني والعشرين من المنار

مطبعة المنار بمصر سنة ١٣٤٠ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمدك لا أحصي ثناء عليك أنت كما اثنيت على نفسك وأصلي وأسلم على رسولك وآل رسولك

وبعد فانه وصل الى الحقير الجاني ، محمد بن علي الشوكاني ، غفر الله له ذنوبه ، وستر عن عيون الناس عيوبه ، سؤال من عالم مفضال ، عارف بما قد قيل وما يقال ، في مدارك الحرام والحلال ، عند اختلاف الاقوال ، وتباين آراء الرجال ، وهو العلامة الفهامة الانخم ، محمد بن احمد بن محمد مشحم ، كثر الله فوائده ، ومد على أهل العلم موائده ، وحاصل السؤال هو عن التوسل بالاموات المشهورين بالفضل وكذلك الاحياء ، والاستغاثة بهم ومناجاتهم عند الحاجة ، من نحو : على الله وعليك يافلان وأنا بالله وبك وما يشابه ذلك . وتعظيم قبورهم واعتقاد ان لهم قدرة على قضاء حوائج المحتاجين ، وانجاح طلبات السائلين وما حكم من فعل شيئاً من ذلك ؟ وهل يجوز قصد قبور الصالحين لتأدية الزيارة ودعاء الله عندها من غير استغاثة بهم بل بالتوسل بهم فقط ؟ فأقول مستعينا بالله

اعلم ان الكلام على هذه الاطراف يتوقف على ايضاح ألفاظ هي منشأ الاختلاف والالتباس (فمنها) الاستغاثة بالغين المعجمة والمثلثة (ومنها) الاستعانة بالعين المهملة والنون (ومنها) التشفع ومنها (التوسل)

فأما الاستغاثة بالمعجمة والمثلثة فهو طلب الغوث وهو ازالة الشدة كالاستنصار وهو طلب النصر ولا خلاف انه يجوز ان يستغاث بالمخلوق فيما يقدر على الغوث فيه من الامور ولا يحتاج مثل ذلك الى استدلال فهو في غاية الوضوح ، وما اظنه يوجد فيه خلاف ، ومنه (فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه) وكما قال (وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر) وكما قال تعالى (وتعاونو على البر والتقوى) وأما ما لا يقدر عليه الا الله فلا يستغاث فيه الا به كغفران الذنوب والهداية وانزال المطر والرزق ونحو ذلك كما قال تعالى (ومن يغفر الذنوب الا الله ؟) وقال (انك لا تهدي من احببت ولكن

الله يهدي من يشاء) وقال (يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض) وعلى هذا يحمل ما أخرجه الطبراني في معجمه الكبير انه كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم منافق يؤذي المؤمنين فقال أبو بكر رضي الله عنه قوموا بنا نستغيث برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من هذا المنافق فقال صلى الله عليه وآله وسلم « انه لايستغاث بي وانما يستغاث بالله » فراده صلى الله عليه وآله وسلم انه لايستغاث به فيما لايقدر عليه الا الله ، وأما ما يقدر عليه المخلوق فلا مانع من ذلك مثل أن يستغيث المخلوق بالمخلوق ليعينه على حمل حجر أو يحول بينه وبين عدوه الكافر ، او يدفع عنه سبعا صائلا أو لصا او نحو ذلك . وقد ذكر أهل العلم انه يجب على كل مكلف ان يعلم ان لاغياث ولا مغيث على الاطلاق الا الله سبحانه ، وان كل غوث من عنده ، واذا حصل شيء من ذلك على يد غيره فالحقيقة له سبحانه ولغيره مجاز ، ومن اسمائه المغيث والغياث ، قال أبو عبدالله الحليمي الغياث هو المغيث . واكثر مايقال غياث المستغيثين ، ومعناه المدرك عباده في الشدائد اذا دعوه ومجيبهم ومخلصهم ، وفي خبر الاستسقاء في الصحيحين : اللهم اغثنا اللهم اغثنا اغاثة وغياثة وغوثا . وهو في معنى المجيب والمستجيب قال تعالى (اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم) الا ان الاغاثة أحق بالافعال ، والاستجابة بالاقوال ، وقد يقع كل منهما موقع الآخر قال شيخ الاسلام ابن تيمية في بعض فتاواه مالفظه : والاستغاثة بمعنى ان يطلب من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ماهو اللائق بمنصبه لا ينازع فيه مسلم ومن نازع في هذا المعنى فهو اما كافر واما مخطئ ضال ، وأما بالمعنى الذي نفاها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهو أيضاً مما يجب نفيها ومن اثبت لغير الله مالا يكون الا لله فهو أيضا كافر اذا قامت عليه الحجة التي يكفر تاركها . ومن هذا الباب قول أبي يزيد البسطامي: استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة الغريق بالغريق . وقول الشيخ أبي عبد الله القرشي: استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة المسجون بالمسجون .

وأما الاستعانة بالنون فهو طلب العون ، ولا خلاف انه يجوز ان يستعان بالمخلوق فيما يقدر عليه من أمور الدنيا كان يستعين به على ان يحمل معه متاعه او يعلف دابته أو يبلغ رسالته ، وأما مالا يقدر عليه الا الله جل جلاله فلا يستعان فيه الا به ومنه (اياك نعبد واياك نستعين)

وأما التشفع بالمخلوق فلا خلاف بين المسلمين انه يجوز طلب الشفاعة في المخلوقين فيما يقدرون عليه من أمور الدنيا ، وثبت بالسنة المتواترة واتفاق جميع الامة ان نبينا صلى الله عليه وآله وسلم هو الشافع المشفع وانه يشفع للخلائق يوم القيامة وان الناس يستشفعون به ويطلبون منه ان يشفع لهم الى ربه ، ولم يقع الخلاف الا في كونها لمحو ذنوب المذنبين ، أو لزيادة ثواب المطيعين ، ولم يقل أحد من المسلمين بنفيها قط . وفي سنن أبي داود ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم : انا نستشفع بالله عليك ونستشفع بك على الله . فقال « شأن الله أعظم من ذلك انه لا يستشفع به على أحد من خلقه » فأقره على قوله نستشفع بك على الله وانكر عليه قوله نستشفع بالله عليك وسيأتي تمام الكلام في الشفاعة .

وأما التوسل الى الله سبحانه بأحد من خلقه في مطلب يطلبه العبد من ربه فقد قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام : انه لا يجوز التوسل الى الله تعالى الا بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم ان صح الحديث فيه ولعله يشير الى الحديث الذي أخرجه النسائي في سننه والترمذي وصححه وابن ماجه وغيرهم ان أعمى أتى الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال يارسول الله اني اصبت في بصري فادع الله لي ، فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم « توضأ وصل ركعتين ثم قل اللهم اني اسألك وأتوجه اليه بنبيك محمد يا محمد اني استشفع بك في رد بصري اللهم شفع النبي في » وقال « فان كان لك حاجة فمثل ذلك » فرد الله بصره .

وللناس في معنى هذا قولان (احدهما) ان التوسل هو الذي ذكره عمر ابن الخطاب لما قال كنا اذا اجدبنا نتوسل بنبينا اليك فتسقينا وانا نتوسل اليك بعم نبينا . وهو في صحيح البخاري وغيره فقد ذكر عمر رضي الله عنه انهم كانوا يتوسلون بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم في حياته في الاستسقاء ثم توسل بعمه العباس بعد موته وتوسلهم هو استسقاؤهم بحيث يدعو ويدعون معه فيكون هو وسيلتهم الى الله تعالى ، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم كان في مثل هذا شافعا وداعيا لهم ، (والقول الثاني) ان التوسل به صلى الله عليه وآله وسلم يكون في حياته وبعد موته وفي حضرته ومغيبه ولا يخفاك انه قد ثبت التوسل به صلى الله عليه وسلم في حياته وثبت التوسل بغيره بعد موته باجماع الصحابة اجماعا سكوتيا لعدم انكار أحد منهم على عمر رضي الله عنه في التوسل بالعباس رضي الله عنه ، وعندي انه لا وجه لتخصيص جواز التوسل بالنبي

صلى الله عليه وآله وسلم كما زعمه الشيخ عز الدين بن عبد السلام لامرين (الاول) ما عرفناك به من اجماع الصحابة رضي الله عنهم و(الثاني) ان التوسل الى الله بأهل الفضل والعلم هو في التحقيق توسل بأعمالهم الصالحة ومزاياهم الفاضلة اذ لا يكون الفاضل فاضلا الا بأعماله فاذا قال القائل: اللهم اني أتوسل اليك بالعالم الفلاني فهو باعتبار ما قام به من العلم وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما ان النبي صلى الله عليه وسلم حكى عن الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة ان كل واحد منهم توسل الى الله بأعظم عمل عمله فارتفعت الصخرة فلو كان التوسل بالاعمال الفاضلة غير جائز أو كان شركا كما يزعمه المتشددون في هذا الباب كابن عبد السلام ومن قال بقوله من اتباعه لم تحصل الاجابة من الله لهم ولا سكت النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن انكار ما فعلوه بعد حكايته عنهم ولهذا تعلم أن ما يورده المانعون من التوسل الى الله بالانبياء والصلحاء من نحو قوله تعالى (ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) ونحو قوله تعالى (فلا تدعوا مع الله أحدا) ونحو قوله تعالى (له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء) ليس بوارد بل هو من الاستدلال على محل النزاع بما هو أجنبي عنه فان قولهم (ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) مصرح بأنهم عبدوهم لذلك، والمتوسل بالعالم مثلا لم يعبده بل علم ان له مزية عند الله بحمله العلم فتوسل به لذلك وكذلك قوله تعالى (فلا تدعوا مع الله أحدا) فانه نهى عن ان يدعى مع الله غيره كأن يقول يا الله ويا فلان والمتوسل بالعالم مثلا لم يدع الا الله وانما وقع منه التوسل اليه بعمل صالح عمله بعض عباده كما توسل الثلثة الذين انطبقت عليهم الصخرة بصالح اعمالهم (١) وكذلك قوله (والذين يدعون من دونه)

(١) المنار: ان الاستدلال بحديث الذين انطبقت عليهم الصخرة في غير محل النزاع وقد سها عنه عفى الله عنه وذلك ان هؤلاء توسلوا الى الله تعالى بأعمالهم الصالحة التي اخلصوا فيها له تعالى وذلك لا يدل على جواز توسل الانسان بعمل غيره من الصالحين فان عمل غيره لا ينفعه الا ان يكون من ولده الذي هو من عمله والاصل القطعي في هذا آيات القرآن الصريحة الكثيرة بأن الانسان لا يجزى الا بعمله وآيات النجم في ذلك نص على ان هذا دين جميع رسل الله تعالى: قال عز وجل (ام لم ينبأ بما في صحف موسى وابراهيم الذي وفى * ان لا تزر وازرة وزر أخرى * وان ليس للانسان الا ما سعى * وان سعيه سوف يرى * ثم يجزاه الجزاء الاوفى)

الآية فان هؤلاء دعوا من لايستجيب لهم ولايدعوا ربهم الذي يستجيب لهم ، والمتوسل بالعالم مثلا لم يدع الا الله ولم يدع غيره دونه ولا دعا غيره معه

فاذا عرفت هذا لم يخف عليك دفع ما يورده المانعون للتوسل من الادلة الخارجية عن محل النزاع خروجا زائدا على ما ذكرناه كاستدلالهم بقوله تعالى (وما ادراك ما يوم الدين ، ثم ما ادراك مايوم الدين ، يوم لاتملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله) فان هذه الآية الشريفة ليس فيها الا انه تعالى المنفرد بالامر في يوم الدين وانه ليس لغيره من الامر شيء والمتوسل بنبي من الانبياء او عالم من العلماء هو لايعتقد ان لمن توسل به مشاركة الله جل جلاله في أمر يوم الدين ، ومن اعتقد هذا لعبد من العباد سواء كان نبيا أو غير نبي فهو في ضلال مبين، وهكذا الاستدلال على منع التوسل بقوله تعالى (ليس لك من الامر شيء قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضرا) فان هاتين الآيتين مصرحتان بأنه ليس لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أمر الله شيء ، وانه لايملك لنفسه نفعاً ولا ضرا فكيف يملك لغيره ، وليس فيهما منع التوسل به او بغيره من الانبياء والاولياء أو العلماء ، وقد جعل الله لرسوله صلى الله عليه وسلم المقام المحمود مقام الشفاعة العظمى وارشد الخلق الى ان يسألوه ذلك ويطلبون منه وقال له « سل تعطه، واشفع تشفع » وقيد ذلك في كتابه العزيز بأن الشفاعة لاتكون الا باذنه ولا تكون الا لمن ارتضى ولعله يأتي تحقيق هذا المقام ان شاء الله تعالى

وهكذا الاستدلال على منع التوسل بقوله صلى الله عليه وآله وسلم لما نزل قوله تعالى (وانذر عشيرتك الاقربين) « يافلان بن فلان لا أملك لك من الله شيئا يافلانة بنت فلان لا أملك لك من الله شيئا » فان هذا ليس فيه الا التصريح بانه صلى الله عليه وآله وسلم لايستطيع نفع من اراد الله تعالى ضره ، ولا ضر من اراد الله نفعه ، وانه لايملك لاحد من قرابته فضلا عن غيرهم شيئا من الله ، وهذا معلوم لكل مسلم وليس فيه انه لايتوسل به الى الله فان ذلك هو طلب الامر ممن له الامر والنهي وانما اراد الطالب ان يقدم بين يدي طلبته مايكون سببا للاجابة (١) ممن هو المنفرد بالعطاء والمنع وهو مالك يوم الدين*

---

(١) ههنا محل الخلاف فان ثبت في الكتاب والسنة ان عمل بعض الناس سبب لاجابة غيرهم الى ما يطلبون من الله عز وجل تكون حجته صحيحة ولا=

واذا عرفت هذا فاعلم ان الرزية كل الرزية والبلية كل البلية أمر غير ما ذكرنا من التوسل المجرد والتشفع بمن له الشفاعة وذلك ما صار يعتقده كثير من العوام وبعض الخواص في أهل القبور وفي المعروفين بالصلاح من الاحياء من انهم يقدرون على مالا يقدر عليه الا الله جل جلاله ويفعلون مالا يفعله الا الله عزوجل حتى نطقت ألسنتهم بما انطوت عليه قلوبهم ، فصاروا يدعونهم تارة مع الله وتارة استقلالا ويصرخون باسمائهم ويعظمونهم تعظيم من يملك الضر والنفع ويخضعون لهم خضوعاً زائدا على خضوعهم عند وقوفهم بين يدي ربهم في الصلاة والدعاء وهذا اذا لم يكن شركا فلا ندري ماهو الشرك واذالم يكن كفرا فليس في الدنيا كفر وهانحن (اولاء) نقص عليك أدلة في كتاب الله سبحانه وفي سنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فيها المنع مما هو دون هذا بمراحل وفي بعضها التصريح بأنه شرك وهو بالنسبة الى هذا الذي ذكرناه يسير حقير ثم بعد ذلك نعود الى الكلام على مسألة السؤال *

فمن ذلك ما أخرجه احمد في مسنده باسناد لا بأس به عن عمران بن حصين ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم رأى رجلا بيده حلقة من صفر فقال «ماهذه؟ — قال من الواهنة — قال انزعها فانها لا تزيدك الا وهنا ولو مت وهي عليك ما أفلحت » واخرج أيضا عن عقبة بن عامر مرفوعا « من علق تميمة فلا أتم الله له ومن علق ودعة فلا ودع الله له » وفي رواية « من علق تميمة فقد اشرك » ولابن أبي حاتم عن حذيفة انه رأى رجلا في يده خيط للحمى فقطعه وقرأ (وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون) وفي الصحيح عن أبي بشير الانصاري انه كان مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم في بعض اسفاره فارسل رسولا « ان لا يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر الا قطعت » واخرج احمد وأبو داود عن ابن مسعود: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول « ان الرقى والتمائم والتولة شرك » واخرج أحمد والترمذي عن عبد الله بن حكيم مرفوعا « من تعلق شيئا وكل اليه » واخرج احمد عن رويفع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يارويفع لعل الحياة ستطول بك فاخبر الناس

= نص في الكتاب ولا السنة على هذا بل على خلافه كما سبق في الحاشية التي قبل هذه ، وأثر الاستسقاء بالعباس (رض) لا يخالف تلك الآيات فانه عبارة عن طلب الدعاء للناس في عبادة مشروعة يشاركونه فيها بالصلاة والتأمين على دعائه

ان من عقد لحيته او تقلد وترا او استنجى برجيع دابة او عظم فان محمدا بريء منه » فانظر كيف جعل الرقى والتمائم والتولة شركا ، وما ذلك الا لكونها مظنة لان يصحبها اعتقاد أن لغير الله تأثيراً في الشفاء من الداء ، وفي المحبة والبغضاء ، فكيف بمن نادى غير الله وطلب منه مالا يطلب الا من الله ، واعتقد استقلاله بالتأثير أو اشتراكه مع الله عزوجل ؟

ومن ذلك ما أخرجه الترمذي وصححه عن ابن واقد الليثي قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حنين ونحن حديثو عهد بكفر وللمشركين سدرة يعكفون عليها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها ذات انواط فقلنا اجعل لنا ذات انواط كما لهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم « الله أكبر قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو اسرائيل (اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون) لتركبن سنن من كان قبلكم » فهؤلاء انما طلبوا ان يجعل لهم شجرة ينوطون بها أسلحتهم كما كانت الجاهلية تفعل ذلك ولم يكن من قصدهم ان يعبدوا تلك الشجرة او يطلبوا منها ما يطلبه القبوريون من أهل القبور فأخبرهم صلى الله عليه وآله وسلم ان ذلك بمنزلة الشرك الصريح وانه بمنزلة طلب آلهة غير الله تعالى

ومن ذلك ما أخرجه مسلم في صحيحه عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال حدثني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأربعة كلمات « لعن الله من ذبح لغير الله لعن الله من لعن والديه لعن الله من آوى محدثا لعن الله من غير منار الارض » واخرج احمد عن طارق بن شهاب ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال « دخل رجل الجنة في ذباب ودخل النار رجل في ذباب — قالوا كيف ذلك يارسول الله — (صلى الله عليه وآله وسلم) قال « مر رجلان على قوم لهم صنم لايجوزه أحد حتى يقرب اليه شيئا فقالوا لاحدهم قرب ولو ذباباً فقرب ذباباً فخلوا سبيله فدخل النار ، وقالوا للآخر قرب فقال ما كنت أقرب لاحد غير الله عزوجل فضربوا عنقه فدخل الجنة » فانظر لعنه صلى الله عليه وآله وسلم لمن ذبح لغير الله واخباره بدخول من قرب لغير الله النار ، وليس في ذلك الا مجرد كون ذلك مظنة للتعظيم الذي لاينبغي الا لله فما ظنك بما كان شركا بحتا . قال بعض أهل العلم ان اراقة دماء الانعام عبادة لانها اما هدي او أضحية او نسك وكذلك ما يذبح للبيع لانه مكسب حلال فهو عبادة. ويتحصل من ذلك شكل قطعي هو ان اراقت دماء الانعام عبادة وكل عبادة لاتكون الا لله فاراقة

دماء الانعام لا تكون الا لله ، ودليل الكبرى (١) قوله تعالى (اعبدوا الله مالكم من اله غيره) — (واياي فاعبدون) و (اياك نعبد — وقضى ربك ان لاتعبدوا الا اياه — وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين)

ومن ذلك انه صلى الله عليه وسلم نهى عن الحلف بغير الله وقال « من حلف فليحلف بالله أو ليصمت » وقال «من حلف بملة غير الاسلام لم يرجع الى الاسلام سالما »أو كما قال ، وسمع رجلا يحلف باللات والعزى فأمره ان يقول لا اله الا الله ، واخرج الترمذي وحسنه والحاكم وصححه من حديث عمر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال « من حلف بغير الله فقد اشرك » وهذه الاحاديث في دواوين الاسلام وفيها ان الحلف بغير الله يخرج به الحالف عن الاسلام وذلك لكون الحلف بشيء مظنة تعظيمه فكيف بما كان شركا محضا يتضمن التسوية بين الخالق والمخلوق في طلب النفع او استدفاع الضر ، وقد يتضمن تعظيم المخلوق زيادة على تعظيم الخالق كما يفعله كثير من المخذولين فانهم يعتقدون ان لاهل القبور من جلب النفع ودفع الضر ماليس لله ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا

فان انكرت هذا فانظر أحوال كثير من هؤلاء المخذولين فانك تجدهم كما وصف الله سبحانه (واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة، واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون)

ومن ذلك ماثبت في الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم عند موته انه كان يقول « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد » يحذر ماصنعوا (٢) واخرج مسلم عن جندب بن عبدالله انه سمع رسول الله صل الله عليه وآله وسلم يقول « ان من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور انبيائهم مساجد فلا تتخذوا القبور مساجد ، اني انهاكم عن ذلك » واخرج أحمد بسند جيد وأبو حاتم في صحيحه عن ابن مسعود مرفوعاً « ان من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء والذين يتخذون القبور مساجد » والاحاديث في هذا الباب كثيرة وفيها التصريح بلعن من اتخذ القبور مساجد مع انه لا يعبد الا الله وذلك لقطع ذريعة الشريك، ودفع وسيلة التعظيم ، وورد مايدل على ان عبادة الله عند القبور بمنزلة اتخاذها

---

(١) اي الكبرى من شكل القياس المنطقي الذي استدل به وهي قوله : وكل عبادة لا تكون الا لله. (٢) «يحذر ماصنعوا »من كلام عائشة راوية الحديث اي لعنهم تحذيرا للمسلمين ان يصنعوا مثلهم

ا وثناً تعبد، اخرج مالك في الموطأ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « اللهم لاتجعل قبري وثنا يعبد ، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» وبالغ في ذلك حتى لعن زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج ، ولعل وجه تخصيص النساء بذلك لما في طبائعهن من النقص المفضي الى الاعتقاد والتعظيم بأدنى شبهة، ولاشك ان علة النهي عن جعل القبور مساجد وعن تسريجها و تجصيصها (١) ورفعها وزخرفتها هي ماينشأ عن ذلك من الاعتقادات الفاسدة كما ثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها ان أم سلمة ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم كنيسة رأتها بأرض الحبشة وما فيها من الصور فقال « أولئك اذا مات فيهم الرجل — أو العبد — الصالح بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله » ولابن خزيمة عن مجاهد (أفرأيتم اللات والعزى) قال كان يلت له السويق فمات فعكفوا على قبره ، وكل عاقل يعلم ان لزيادة الزخرفة للقبور واسبال الستور الرائعة عليها وتسريجها والتأنق في تحسينها تأثيرا في طبائع غالب العوام ينشأ عنه التعظيم والاعتقادات الباطلة وهكذا اذا استعظمت نفوسهم شيئا مما يتعلق بالاحياء وبهذا السبب اعتقد كثير من الطوائف الالهية في اشخاص كثير

ورأيت في بعض كتب التاريخ انه قدم رسول لبعض الملوك على بعض خلفاء بني العباس فبالغ الخليفة في التهويل على ذلك الرسول وما زال اعوانه ينقلونه من رتبة الى رتبة حتى وصل الى المجلس الذي يقعد الخليفة في برج من ابراجه وقد جمل ذلك المنزل بأبهى الآيات وقعد فيه أبناء الخلفاء وأعيان الكبراء، وأشرف الخليفة من ذلك البرج وقد انخلع قلب ذلك الرسول مما رأى فلما وقعت عيناه على الخليفة قال لمن هو قابض على يده من الامراء :أهذا الله ؟فقال ذلك الامير بل هو خليفة الله .فانظر ماصنع ذلك التحسين بقلب هذا المسكين ، وروي لنا ان بعض أهل جهات القبلة وصل الى القبة الموضوعة على قبر الامام أحمد بن الحسين صاحب ذي بين رحمه الله فرآها وهي مسرجة بالشمع والبخور ينفح في

(١) جعل القبور مساجد كثير في مصر حتى يقل ان يوجد مسجد ليس مبنيا على غير قبر ، وتسريجها وضع السرج أو المصابيح عليها اوعندها ومثلها الشمع ،وتجصيصها بناؤها بالجص وانما نهي النبي (ص) عن ذلك ولعن فاعليه لانه من أعمال الشرك او ذرائعه على الاقل

جوانبها وعلى القبر الستور الفائقة فقال عند وصوله الى الباب امسيت بالخير يا أرحم الراحمين

وفي الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى (ولا تذرن الهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا * ولا يغوث ويعوق ونسرا) قال هذه اسماء رجال من قوم نوح لما هلكوا اوحى الشيطان الى قومهم ان انصبوا الى مجالسهم التي كانوا يجلسون عليها انصابا وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم يعبدوا حتى اذا هلك أولئك ونسي العلم عبدت ، وقال غير واحد من السلف لما ماتوا عكفوا على قبورهم

ومن ذلك ما أخرجه احمد باسناد جيد عن قبيصة عن أبيه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ان العيافة والطرق والطيرة من الجبت » (١) واخرجه أبو داود والنسائي وابن حبان أيضاً ، واخرج أبو داود بسند صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر » واخرج النسائي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه « من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر ومن سحر فقد أشرك ومن تعلق شيئاً وكل اليه » وهذه الامور كلها كانت من الجبت والشرك لانها مظنة للتعظيم الجالب للاعتقاد الفاسد

ومن ذلك ما أخرجه أهل السنن والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « من أتى كاهنا او عرافا فقد كفر بما أنزل على محمد » واخرج أبو يعلى بسند جيد مرفوعا « من أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد » واخرج نحوه الطبراني من حديث ابن عباس بسند حسن ، والعلة الموجبة للحكم بالكفر ليست الاعتقاد انه مشارك لله تعالى في علم الغيب مع انه في الغالب يقع غير مصحوب بهذا الاعتقاد ولكن من حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه . ومن ذلك ما في الصحيحين وغيرهما عن زيد بن خالد قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وآله

---

(١) الجبت اسم جامع للخرافات كلها ومنها العيافة وهي التشاؤم أو التفاؤل من الالفاظ والطرق بالحصى أو الودع أو حب الفول لمعرفة البخت ومثله الرمل والطيرة التشاؤم او التفاؤل بالطير وحركاته واسمه

وسلم صلاة الصبح على اثر سماء (١) من الليل - فلما انصرف اقبل على الناس بوجهه الشريف فقال « هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ » قالوا الله ورسوله أعلم « - قال اصبح من عبادي مؤمن بي وكافر فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي وكافر بالكواكب وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي ومؤمن بالكواكب » ولا يخفى على عارف أن العلة في الحكم بالكفر هي ما في ذلك من ايهام المشاركة وأين هذا ممن يصرخ في دعائه عند (٢) ان يمسه الضر بقوله : يا الله ويا فلان وعلى الله وعلى فلان ؟ فان هذا يعبد ربين ويدعو اثنين وأما من قال مطرنا بنوء كذا فهو لم يقل امطره ذلك النوء بل قال امطر به وبين الامرين فرق ظاهر

ومن ذلك ما أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « يقول الله عز وجل : أنا اغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا اشرك معي فيه غيري تركته وشركه » واخرج أحمد (٣) عن أبي سعيد مرفوعا « الا أخبركم بما هو اخوف عليكم من المسيح الدجال ؟ - قالوا بلى قال - الشرك الخفي يقوم الرجل فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل » ومن ذلك قوله تعالى (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) فاذا كان مجرد الرياء الذي هو فعل الطاعة لله عز وجل مع محبته ان يطلع عليها غيره او يثني عليه بها او يستحسنها شركا فكيف بما هو محض الشرك

ومن ذلك ما أخرجه النسائي أن يهوديا أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : تقولون ما شاء الله وشئت وتقولون والكعبة فأمرهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان يقولوا : ورب الكعبة وان يقولوا ما شاء الله ثم ما شئت ، وأخرج النسائي أيضا عن ابن عباس مرفوعا ان رجلا قال : ما شاء الله وشئت . قال « أجعلتني لله نداء ؟ قل ما شاء الله وحده » وأخرج ابن ماجه عن الطفيل قال رأيت كأني أتيت على نفر من اليهود فقلت انكم لانتم القوم لولا انكم تقولون عزير ابن الله قالوا وأنتم القوم لولا انكم تقولون ما شاء الله وشاء محمد . ثم مررت بنفر من النصارى فقلت انكم لانتم القوم

(١) اي بعد وقوع مطر (٢) ترك هنا في الاصل بياض قليل والظاهر ان الاصل « عند قبور الصالحين بعد أو خيفة » (٣) رواه ابن ماجه والبيهقي أيضاً

لولا انكم تقولون المسيح ابن الله ، وقالوا وأنتم لانتم القوم لولا انكم تقولون ما شاء الله وشاء محمد — فلما أصبحت وأخبرت بها من أخبرت ثم أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته قال « فهل أخبرت بها أحدا ؟ — قال نعم قال فحمد الله وأثنى عليه ثم قال « اما بعد ان طفيلا رأى رؤيا أخبر بها من أخبر منكم وانكم قلتم كلمة كان يمنعني كذا وكذا ان أنهاكم فلا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد ولكن قولوا ما شاء الله وحده » (١) والوارد في هذا الباب كثير وفيه ان التشريك في المشيئة بين الله ورسوله أوغيره من عبيده فيه نوع من الشرك ولهذا جعل ذلك في هذا المقام الصالح كشرك اليهود والنصارى باثبات ابن لله عز وجل وفي تلك الرواية السابقة انه اثبات ند لله عز وجل .

ومن ذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم لمن قال : من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى « بئس خطيب القوم انت » وهو في الصحيح وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنه في تفسير قوله تعالى (فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون) انه قال الانداد أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل وهو ان يقول والله وحياتك يافلان وحياتي ويقول لولا كلبه هذا لاتانا ولولا بط في الدار لاتى اللصوص وقول الرجل لصاحبه ماشاء الله وشئت وقول الرجل لولا الله وفلان هذا كله شرك . ومن ذلك ماثبت في الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال « لايقل أحدكم أطعم ربك وأرض ربك ولايقل أحدكم عبدي وامتي وليقل فتاي وفتاتي وغلامي (٢) » ووجه هذا النهي مايفهم من مخاطبة السيد بمخاطبة العبد لربه ، والرب لعبده وان لم يكن ذلك مقصوداً ومن ذلك ما ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله

---

(١) طفيل هو ابن سخبرة أخو عائشة لامها وقد عزاه في الدر المنثور الى أحمد وابن ماجه والبيهقي وفيه « كان يمنعني الحياء منكم » محل كذا وكذا وفي آخره زيادة « وحده لاشريك له » والحديث ضعيف

(٢) الحديث وارد في تكريم الرقيق ولفظ البخاري الذي اختاره المصنف وحرفه الناسخ « لا يقل أحدكم أطعم ربك وضئ ربك اسق ربك ، وليقل سيدي ومولاي ، ولا يقل أحدكم عبدي أمتي ، ولكن فتاي وفتاتي وغلامي »

صلى الله عليه وآله وسلم « قال الله تعالى : ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا ذرة ، ويخلقوا حبة وشعيرة » ولهما عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أشد الناس عذابا يوم القيامة الذين يضاهئون خلق الله » ولهما عن ابن عباس رضي الله عنهما سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول « كل مصور في النار يجعل له بكل صورة صورها نفسا يعذب بها في جهنم » ولهما عنه مرفوعاً « من صور صورة في الدنيا كلف أن ينفخ فيه الروح وليس بنافخ » واخرج مسلم عن أبي الهياج الاسيدي قال : قال لي علي الا ابعثك على مابعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ الا تدع صورة الا طمستها ولا قبرا مشرفا الاسويته (١)

فانظر الى مافي هذه الاحاديث من الوعيد الشديد للمصورين لكونهم فعلوا فعلا يشبه فعل الخالق وان لم يكن ذلك مقصودا لهم ، وهؤلاء القبوريون قد جعلوا بعض خلق الله شريكا له ومثلا وندا فاستغاثوا به فيما لايستغاث فيه الا بالله وطلبوا منه مالا يطلب الامن الله مع القصد والارادة

ومن ذلك ما أخرجه النسائي بسند جيد عن عبد الله بن الشخير قال : انطلقت في وفد بني عامر الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقلنا : انت سيدنا ، قال « السيد الله تبارك وتعالى — قلنا وافضلنا واعظمنا طولا قال — قولوا بقولكم أو بعض قولكم ولا يستجرنكم الشيطان ـ وفي رواية ـ لايستهوينكم الشيطان ، أنا محمد عبدالله ورسوله ما أحب ان ترفعوني فوق منزلتي التي انزلني الله عز وجل »

وبالجملة فالوارد عن الشرع من الادلة الدالة على قطع ذرائع الشرك وهدم كل شيء يوصل اليه في غاية الكثرة ولو رمت حصر ذلك على التمام لجاء في مؤلف بسيط فلنقتصر على هذا المقدار ونتكلم على حكم مايفعله القبوريون من الاستغاثة بالاموات ، ومناداتهم لقضاء الحاجات ، وتشريكهم مع الله في بعض الحالات ، وافرادهم بذلك في بعضها فنقول ـ :

أعلم ان الله لم يبعث رسوله ولم ينزل كتبه لتعريف خلقه بأنه الخالق لهم

(١) ذكر الامام الشافعي رحمه الله تعالى في الام ونقله عنه النووي في شرح مسلم انه رأى الائمة بمكة يهدمون ماشيد من القبور ويسوونها بالارض عملا بهذا الحديث فليعتبر الذين يدعون اتباع مذهبه

والرزاق لهم ونحو ذلك فان هذا يقر به كل مشرك قبل بعثة الرسول (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله * ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم * قل من يرزقكم من السماء والارض ، أمن يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الامر ؟ فسيقولون لله فقل أفلا تتقون * قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون * سيقولون الله (١) قل أفلا تذكرون * قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم * سيقولون الله قل أفلا تتقون * قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون * سيقولون الله قل فأنى تسحرون) ولهذا تجد كل ما ورد في الكتاب العزيز في شأن خالق الخلق ونحوه في مخاطبة الكفار معنونا باستفهام التقرير (هـل من خالق غير الله ؟ افي الله شك فاطر السموات والارض ؟ اغير الله أتخذ وليا فاطر السموات والارض ؟ أروني ماذا خلق الذين من دونه ؟) بل بعث الله رسله وأنزل كتبه لاخلاص توحيده وافراده بالعبادة (ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره * الا تعبدوا الا الله * ان اعبدوا الله واتقوه وأطيعون * قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ماكان يعبد آباؤنا ؟ ان اعبدوا الله مالكم من اله غيره * واياي فاعبدون) واخلاص التوحيد لايتم الا بأن يكون الدعاء كله لله والنداء والاستغاثة والرجاء واستجلاب الخير واستدفاع الشر له ومنه لا لغيره ولا من غيره (فلا تدعوا مع الله أحدا * له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لايستجيبون لهم بشيء - وعلى الله فليتوكل المؤمنون * وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين) وقد تقرر ان شرك المشركين الذين بعث الله اليهم خاتم رسله صلى الله عليهم وسلم لم يكن الا باعتقادهم ان الانداد التي اتخذوها تنفعهم وتضرهم وتقربهم الى الله وتشفع لهم عنده مع اعترافهم بأن الله سبحانه هو خالقها وخالقهم ورازقها ورازقهم ومحييها ومحييهم ومميتها ومميتهم (مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى * فلا تجعلوا لله اندادا وأنتم تعلمون * ان كنا لفي ضلال مبين * اذ نسويكم برب العالمين * وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون * هؤلاء شفعاؤنا عند الله) وكانوا يقولون في تلبيتهم ، لبيك لاشريك لك ، الا شريكا هو لك ، تملكه وما ملك .

(١) (سيقولون الله) قراءة سبعية وقراءة حفص التي عليها مصاحفنا (سيقولون لله) والقراءتان سواء هذه في الآيات كلها

واذا تقرر هذا فلا شك ان من اعتقد في ميت من الاموات اوحي من الاحياء انه يضره او ينفعه اما استقلالا او مع الله تعالى او ناداه أو توجه اليه او استغاث به في أمر من الامور التي لا يقدر عليها المخلوق فلم يخلص التوحيد لله ولا افرده بالعبادة ـ اذ الدعاء بطلب وصول الخير اليه ودفع الضر عنه هو نوع من أنواع العبادة ـ ولا فرق بين ان يكون هذا المدعو من دون الله او معه حجرا أو شجراً او ملكا او شيطانا كما كان يفعل ذلك الجاهلية ، وبين ان يكون انسانا من الاحياء أو الاموات كما يفعله الآن كثير من المسلمين ، وكل عالم يعلم هذا أويقر به فان العلة واحدة وعبادة غير الله تعالى وتشريك غيره معه يكون للحيوان كما يكون للجماد ، وللحي كما يكون للميت ، فمن زعم ان ثم فرقا بين من اعتقد في وثن من الاوثان انه يضر او ينفع وبين من اعتقد في ميت من بني آدم انه يضر او ينفع أو يقدر على أمر لا يقدر عليه الا الله تعالى فقد غلط غلطا بينا واقر على نفسه بجهل كثير ، فان الشرك هو دعاء غير الله في الاشياء التي تختص به أو اعتقاد القدرة لغيره فيما لا يقدر عليه سواه ، أو التقرب الى غيره بشيء مما لا يتقرب به الا اليه ، ومجرد تسمية المشركين لما جعلوه شريكا بالصنم والوثن والاله لغير الله زيادة على التسمية بالولي والقبر والمشهد كما يفعله كثير من المسلمين بل الحكم واحد اذا حصل لمن يعتقد في الولي والقبر ما كان يحصل لمن كان يعتقد في الصنم والوثن اذ ليس الشرك هو مجرد اطلاق بعض الاسماء على بعض المسميات بل الشرك هو ان يفعل لغير الله شيئا يختص به سبحانه سواء أطلق على ذلك الغير ما كان تطلقه عليه الجاهلية أو اطلق عليه اسما آخر فلا اعتبار بالاسم قط ومن لم يعرف هذا فهو جاهل لا يستحق ان يخاطب بما يخاطب به أهل العلم ، وقد علم كل عالم ان عبادة الكفار للاصنام لم تكن الا بتعظيمها واعتقاد انها تضر وتنفع والاستغاثة بها عند الحاجة والتقرب لها في بعض الحالات بجزء من أموالهم وهذا كله قد وقع من المعتقدين في القبور فانهم قد عظموها الى حد لا يكون الا لله سبحانه بل ربما يترك العاصي منهم فعل المعصية اذا كان في مشهد من يعتقده أو قريبا منه مخافة تعجيل العقوبة من ذلك الميت ، وربما لا يتركها اذا كان في حرم الله أو في مسجد من المساجد أو قريبا من ذلك ، وربما حلف بعض غلاتهم بالله كاذبا ولم يحلف بالميت الذي يعتقده

وأما اعتقادهم انها تضر وتنفع فلولا اشتمال ضمائرهم على هذا الاعتقاد لم يدع أحد منهم ميتا أو حيا عند استجلابه لنفع واستدفاعه لضر قائلا يافلان افعل لي كذا وكذا وعلى الله وعليك وأنا بالله وبك

وأما التقرب للاموات فانظر ماذا يجعلونه من النذور لهم وعلى قبورهم في كثير من المحلات، ولو طلب الواحد منهم ليسمح بجزء من ذلك لله تعالى لم يفعل، وهذا معلوم يعرفه من عرف أحوال هؤلاء

(فان قلت) ان هؤلاء القبوريين يعتقدون ان الله تعالى هو الضار النافع والخير والشر بيده، وان استغاثوا بالاموات قصدوا انجاز ما يطلبونه من الله سبحانه (قلت) وهكذا كانت الجاهلية فانهم كانوا يعلمون ان الله هو الضار النافع وان الخير والشر بيده وانما عبدوا أصنامهم لتقربهم الى الله زلفى كما حكاه الله عنهم في كتابه العزيز، نعم اذا لم يحصل من المسلم الا مجرد التوسل الذي قدمنا تحقيقه فهو كما ذكرناه سابقاً ولكن من زعم انه لم يقع منه الا مجرد التوسل وهو يعتقد من تعظيم ذلك الميت ما لا يجوز اعتقاده في أحد من المخلوقين وزاد على مجرد الاعتقاد فتقرب الى الاموات بالذبائح والنذور وناداهم مستغيثا بهم عند الحاجة فهذا كاذب في دعواه انه متوسل فقط فلو كان الامر كما زعمه لم يقع منه شيء من ذلك والمتوسل به لا يحتاج الى رشوة بنذر او ذبح ولا تعظيم ولا اعتقاد لان المدعو هو الله سبحانه وهو أيضاً المجيب ولا تاثير لمن وقع به التوسل قط بل هو بمنزلة التوسل بالعمل الصالح فأي جدوى في رشوة من قد صار تحت اطباق الثرى بشيء من ذلك؟ وهل هذا الا فعل من يعتقد التأثير اشتراكا واستقلالا؟ ولا اعدل من شهادة افعال جوارح الانسان على بطلان ما ينطق به لسانه من الدعاوي الباطلة العاطلة، بل من زعم انه لم يحصل منه الا مجرد التوسل وهو يقول بلسانه يافلان مناديا لمن يعتقده من الاموات فهو كاذب على نفسه ومن انكر حصول النداء للاموات والاستغاثة بهم استقلالا فليخبرنا ما معنى ما نسمعه في الاقطار اليمنية من قولهم يا ابن العجيل يازيلعي! يا ابن علوان! يافلان يافلان(١) وهل ينكر هذا منكر ويشك فيه شاك؟ وما عدا ديار اليمن فالامر فيها أطم وأعم، ففي كل قرية ميت يعتقده أهلها

(١) ومثل هذا ما يسمعه كل أحد عند القبور المشيدة في الديار المصرية: ياسيد، يابدوي، يادسوقي، يابيومي، يامتبولي الخ

وينادونه في كل مدينة جماعة منهم حتى انهم في حرم الله ينادون يابن عباس! يامحجوب ! فما ظنك بغير ذلك فلقد تلطف ابليس وجنوده أخزاهم الله تعالى لغالب أهل الملة الاسلامية بلطفة تزلزل الاقدام عن الاسلام فانا لله وانا اليه راجعون

أين من يعقل معنى (ان الذين تدعون من دونه الله عباد أمثالكم — فلا تدعوا مع الله أحدا ـ له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء) وقد اخبرنا الله سبحانه ان الدعاء عبادة في محكم كتابه بقوله تعالى (ادعوني استجب لكم ، ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) واخرج أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح من حديث النعمان بن بشير قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « ان الدعاء هو العبادة » وفي رواية « مخ العبادة » ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الاية المذكورة ، واخرج أيضاً النسائي وابن ماجه والحاكم واحمد وابن أبي شيبة باللفظ المذكور

وكذلك النحر للاموات عبادة لهم والنذر لهم بجزء من المال عبادة لهم والتعظيم عبادة لهم كما ان النحر للنسك واخراج صدقة المال والخضوع والاستكانة عبادة لله عزوجل بلا خلاف، ومن زعم ان ثم فرقا بين الامرين فليهده الينا ، ومن قال انه لم يقصد بدعاء الاموات والنحر لهم والنذر عليهم عبادتهم فقل له :فلاي مقتض صنعت هذا الصنع ؟ فان دعاءك للميت عند نزول أمر بك لا يكون الا لشيء في قلبك عبر عنه لسانك، فان كنت تهذي بذكر الاموات عند عروض الحاجات من دون اعتقاد منك لهم فانت مصاب بعقلك وهكذا ان كنت تنحر لله وتنذر لله فلأي معنى جعلت ذلك للميت وحملته الى قبره فان الفقراء على ظهر البسيطة في كل بقعة من بقاع الارض وفعلك وانت عاقل لا يكون الا لمقصد قد قصدته أو امر قد أردته والا فانت مجنون قد رفع عنك القلم ولا نوافقك على دعوى الجنون الا بعد صدور أفعالك وأقوالك في غير هذا على نمط افعال المجانين ، فان كنت تصدرها مصدر افعال العقلاء فانت تكذب على نفسك في دعواك الجنون فى هذا الفعل بخصوصه فرارا عن ان يلزمك مالزم عباد الاوثان الذين حكى الله عنهم في كتابه العزيز ماحكاه بقوله (وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا) وبقوله (ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم ، تالله لتسألن عما كنتم تفترون)

(فان قلت) ان المشركين كانوا لا يقرون بكلمة التوحيد وهؤلاء المعتقدون في الاموات يقرون بها (قلت) هؤلاء انما قالوها بألسنتهم وخالفوها بافعالهم فان من استغاث بالاموات أو طلب منهم مالا يقدر عليه الا الله سبحانه ، أو عظمهم ، أونذر عليهم بجزء من ماله او نحر لهم فقد نزلهم منزلة الآلهة التي كان المشركون يفعلون لها هذه الافعال فهو لم يعتقد معنى لا اله الا الله ولا عمل به بل خالفها اعتقادا وعملا فهو في قوله لا اله الا الله كاذب على نفسه، فانه قد جعل الهاً غير الله يعتقد انه يضر وينفع وعبده بدعائه عند الشدائد والاستغاثة به عند الحاجة وبخضوعه له وتعظيمه اياه ونحر له النحائر وقرب اليه نفائس الاموال ، وليس مجرد قول لا اله الا الله من دون عمل بمعناها مثبتا للاسلام فانه لو قالها أحد من أهل الجاهلية وعكف على صنمه يعبده لم يكن ذلك اسلاماً

(فان قلت) قد أخرج احمد بن حنبل والشافعي في مسنديهما من حديث عبد الله بن عدي بن الخيار ان رجلا من الانصار حدثه انه أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو في مجلسه فساره ليستأذنه في قتل رجل من المنافقين فجهر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال « أليس يشهد ان لا اله الا الله؟ » قال الانصاري بلى يارسول الله ولا شهادة له قال « أليس يشهد ان محمدا رسول الله؟ » قال بلى ولكن لا شهادة له قال « أليس يصلي؟ » قال بلى ولا صلاة له قال « أولئك الذين نهاني الله عن قتلهم » وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد في قصة الرجل الذي قال يارسول الله صلى الله عليه وسلم اتق الله وفيه فقال خالد ابن الوليد رضي الله عنه يارسول الله ألا اضرب عنقه ؟ فقال « لا! لعله ان يكون يصلي » فقال خالد : كم من مصل يقول بلسانه ماليس في قلبه فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « اني لم أومر ان انقب عن قلوب الناس ولا اشق قلوبهم » ومنه قوله صلى الله عليه وآله وسلم لاسامة بن زيد رضي الله عنه لما قتل رجلا من الكفار بعد ان قال لا اله الا الله فقال له صلى الله عليه وآله وسلم « فما تصنع بلا اله الا الله » فقال يارسول الله انما قالها تقية فقال « هل شققت عن قلبه » هذا معنى الحديث وهو في الصحيح

(قلت) لا شك ان من قال لا اله الا الله ولم يتبين من أفعاله مايخالف معنى التوحيد فهو مسلم محقون الدم والمال اذا جاء باركان الاسلام المذكورة في حديث « أمرت ان أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله ويقيموا الصلاة

ويؤتوا الزكاة ويحجوا البيت ويصوموا رمضان » وهكذا من قال لا اله الا الله متشهدا بها شهادة الاسلام ولم يكن قد مضى عليه من الوقت مايجب فيه شيء من أركان الاسلام ، فالواجب حمله على الاسلام عملا بما أقر به لسانه واخبر به من اراد قتاله ولهذا قال صلى الله عليه وآله وسلم لاسامة بن زيد ماقال. وأما من تكلم بكلمة التوحيد وفعل افعالا تخالف التوحيد كاعتقاد هؤلاء المعتقدين في الاموات فلا ريب انه قد تبين من حالهم خلاف ماحكته ألسنتهم من اقرارهم بالتوحيد ، ولو كان مجرد التكلم بكلمة التوحيد موجبا الدخول في الاسلام والخروج من الكفر سواء فعل المتكلم بها مايطابق التوحيد أو يخالفه لكانت نافعة لليهود مع انهم يقولون عزير ابن الله وللنصارى مع انهم يقولون المسيح ابن الله وللمنافقين مع انهم يكذبون بالدين ويقولون بألسنتهم ماليس في قلوبهم، وجميع هذه الطوائف الثلاث يتكلمون بكلمة التوحيد بل لم تنفع الخوارج فانهم من أكمل الناس توحيدا وأكثرهم عبادة وهم كلاب النار وقد أمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقتلهم مع انهم لم يشركوا بالله ولا خالفوا معنى لا اله الا الله بل وحدوا الله توحيده، وكذلك المانعون للزكاة هم موحدون لم يشركوا ولكنهم تركوا ركنا من أركان الاسلام ولهذا أجمعت الصحابة رضي الله عنهم على قتالهم بل دل الدليل الصحيح المتواتر على ذلك وهو الاحاديث الواردة بألفاظ منها « أمرت ان أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ويحجوا البيت ويصوموا رمضان فاذا فعلوا ذلك فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم الا بحقها » فمن ترك هذه الخمس ، لم يكن معصوم الدم ولا المال ، وأعظم من ذلك تارك معنى التوحيد والمخالف له بما يأتي به من الافعال

(فان قلت) هؤلاء المعتقدون في الاموات لا يعلمون بأن مايفعلونه شرك بل لو عرض أحدهم على السيف لم يقر بأنه مشرك بالله ولا فاعل لما هو شرك بل ولو علم أدنى علم ان ذلك شرك لم يفعله (قلت) الامر كما قلت ولكن لا يخفى عليك ما تقرر فى اسباب الردة انه لا يعتبر في ثبوتها العلم بمعنى ما قاله من جاء بلفظ كفري أو فعل فعلا كفريا . وعلى كل حال فالواجب على كل من اطلع على شيء من هذه الاقوال والافعال التي اتصف بها المعتقدون في الاموات ان يبلغهم الحجة الشرعية ويبين لهم ما أمره الله ببيانه وأخذ عليه الميثاق ان لا يكتمه

كما حكي ذلك لنا في كتابه العزيز فيقول لمن صار يدعو الاموات عند الحاجات ، ويستغيث بهم عند حلول المصيبات ، وينذر لهم النذور ، وينحر لهم النحور ، ويعظمهم تعظيم الرب سبحانه : ان هذا الذي يفعلونه هو الشرك الذي كانت عليه الجاهلية وهو الذي بعث الله رسوله بهدمه ، وانزل كتبه في ذمه ، وأخذ على النبيين ان يبلغوا عباده انهم لا يؤمنون حتي يخلصوا له التوحيد ويعبدوه وحده . فاذا علموا بهذا علما لا يبقى معه شك ولا شبهة ثم اصروا على ماهم فيه من الطغيان ، والكفر بالرحمن ، وجب عليه ان يخبرهم بأنهم اذا لم يقلعوا عن هذه الغواية ، ويعودوا الى ما جاءهم به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الهداية ، فقد حلت دماؤهم وأموالهم ، فان رجعوا والا فالسيف هو الحكم العدل كما نطق به الكتاب المبين وسنة سيد المرسلين في اخوانهم من المشركين

(فان قلت) فقد ورد الحديث الصحيح بأن الخلائق يوم القيامة يأتون آدم فيدعونه ويستغيثونه ثم نوحا ثم ابراهيم ثم موسى ثم عيسى ثم محمداً صلى الله عليه وآله وسلم وسائر اخوانه من الانبياء (قلت) أهل المحشر انما يأتون هؤلاء الانبياء يطلبون منهم ان يشفعوا لهم الى الله سبحانه ويدعوا لهم بفصل الحساب والاراحة من ذلك الموقف وهذا جائز فانه من طلب الشفاعة والدعاء المأذون فيهما ، وقد كان الصحابة يطلبون من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حياته ان يدعو لهم كما في حديث يارسول الله ادع الله ان يجعلني منهم لما اخبرهم بأنه يدخل الجنة سبعون ألفا وحديث « سبقك بها عكاشة » وقول أم سليم يارسول الله خادمك انس ادع الله له ، وقول المرأة التي كانت تصرع يارسول الله ادع الله لي ، وآخر الامر سألته الدعاء بأن لا تنكشف عند الصرع فدعا لها ، ومنه ارشاده صلى الله عليه وآله وسلم لجماعة من الصحابة بأن يطلبوا الدعاء من أويس القرني اذا أدركوه ، ومنه ماورد في دعاء المؤمن لاخيه بظهر الغيب ، وغير ذلك مما لا يحصر حتى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمر لما خرج معتمراً « لا تنسني يا أخي من دعائك » فمن جاء الى رجل صالح واستمد منه ان يدعو له فهذا ليس من ذلك الذي يفعله المعتقدون في الاموات بل هو سنة حسنة وشريعة ثابتة ، وهكذا طلب الشفاعة ممن جاءت الشريعة المطهرة بأنه من أهلها كالانبياء ولهذا يقول الله لرسوله يوم القيامة « سل تعطه واشفع تشفع » وذلك هو المقام المحمود الذي وعده الله به كما في كتابه العزيز

والحاصل ان طلب الحوائج من الاحياء جائز اذا كانوا يقدرون عليها ومن ذلك الدعاء فانه يجوز استمداده من كل مسلم بل يحسن ذلك ، وكذلك الشفاعة من أهلها الذين ورد الشرع بأنهم يشفعون ، ولكن ينبغي ان يعلم ان دعاء من يدعو له لا ينفع الا باذن الله وارادته ومشيئته ، وكذلك شفاعة من يشفع لا يكون الا باذن الله كما ورد بذلك القرآن العظيم ، فهذا تقييد للمطلق لا ينبغي العدول عنه بحال

واعلم ان من الشبة الباطلة التي يوردها المعتقدون في الاموات انهم ليسوا كالمشركين من أهل الجاهلية لانهم انما يعتقدون في الاولياء والصالحين وأولئك اعتقدوا في الاوثان والشياطين . وهذه الشبة داحضة تنادي على صاحبها بالجهل ، فان الله سبحانه لم يعذر من اعتقد في عيسى عليه السلام وهو نبي من الانبياء (بل) خاطب النصارى بتلك الخطابات القرآنية ومنها (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق ، انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسوله) وقال لمن كان يعبد الملائكة (ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة : أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون ؟ *قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم) ولاشك ان عيسى والملائكة أفضل من هؤلاء الاولياء والصالحين الذين صار هؤلاء القبوريون يعتقدونهم ويغلون في شأنهم مع ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو أكرم الخلق على الله وسيد ولد آدم وقد نهى أمته ان تغلو فيه كما غلت النصارى في عيسى عليه السلام ولم يمتثلوا أمره ولم يمتثلوا ما ذكره الله فى كتابه العزيز من قوله (ليس لك من الامر شيء) ومن قوله (وما ادراك ما يوم الدين ؟ *ثم ما ادراك ما يوم الدين ؟ *يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله) وما حكاه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من انه لا يملك لنفسه نفعا ولا ضراً وما قاله صلى الله عليه وآله وسلم لقرابته الذين أمره الله بانذارهم بقوله (وأنذر عشيرتك الاقربين) فقام داعيا لهم ومخاطبا لكل واحد منهم قائلا يافلان ابن فلان لا أغني عنك من الله شيئا يافلانة بنت فلان لا أغني عنك من الله شيئا يابني فلان لا أغني عنكم من الله شيئا . فانظر رحمك الله تعالى ما وقع من كثير من هذه الامة من الغلو المنهي عنه المخالف لما في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، كما يقول صاحب البردة رحمه الله تعالى

يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به * سواك عند حلول الحادث العمم

فانظر كيف نفى كل ملاذ ما عدا عبدالله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وغفل عن ذكر ربه ورب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . انا لله وانا اليه راجعون

وهذا باب واسع . قد تلاعب الشيطان بجماعة من أهل الاسلام حتى ترقوا الى خطاب غير الانبياء بمثل هذا الخطاب، ودخلوا من الشرك في أبواب، بكثير من الاسباب ومن ذلك قول من يقول مخاطبا لابن العجيل :

هات لي منك يا ابن موسى اغاثه * عاجلا في سيرها حثاثه

فهذا محض الاستغاثة التي لا تصلح لغير الله (١) لميت من الاموات قد صار تحت اطباق الثري منذ مئين السنين، ويغلب على الظن ان مثل هذا البيت والبيت الذي قبله انما وقعا من قائليهما لغفلة وعدم تيقظ ولا مقصد لهما الا تعظيم جانب النبوة والولاية ولو نبها لتنبها واقرا بالخطأ، وكثير ما يعرض ذلك لاهل العلم والادب والفطنة وقد سمعنا وارينا، فمن وقف على شيء من هذا الجنس لحي من الاحياء فعليه ايقاظه بالحجج الشرعية فان رجع والا كان الامر فيه كما أسلفناه، وأما اذا كان القائل قد صار تحت اطباق الثرى فينبغي ارشاد الاحياء الى ما في ذلك الكلام من الخلل، وقد وقع في البردة والهمزية شيء كثير من هذا الجنس ووقع أيضاً لمن تصدى لمدح نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولمدح الصالحين والائمة الهادين ما لا يأتي عليه الحصر ولا يتعلق بالاستكثار منه فائدة فليس المراد الا التنبيه والتحذير لمن كان له قلب أو القى السمع وهو شهيد (وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين — ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب)

واعلم انما حررناه وقررناه من ان كثيرا مما يفعله المعتقدون في الاموات يكون شركا قد يخفى على كثير من أهل العلم وذلك لا لكونه خفيا في نفسه بل لاطباق الجمهور على هذا الامر وكونه قد شاب عليه الكبير وشب عليه الصغير، وهو يرى ذلك ويسمعه ولا يرى ولا يسمع من ينكره، بل ربما يسمع من يرغب فيه ويندب الناس اليه، وينضم الى ذلك ما يظهره الشيطان للناس من قضاء حوائج من قصد بعض الاموات الذين لهم شهرة وللعامة فيهم اعتقاد، وربما يقف جماعة من المحتالين على قبر ويجلبون الناس بأكاذيب يحكونها عن ذلك الميت ليستجلبوا منهم النذور ويستدروا منهم الارزاق ويقتنصوا

(١) لعل الاصل « لغير الله من الاحياء فكيف تصلح لميت الخ » وكتبه صالح

النحائر ويستخرجوا من عوام الناس مايعود عليهم وعلى من يعولونه ويجعلون ذلك مكسبا ومعاشا وربما يهولون على الزائر لذلك الميت بتهويلات ويجعلون قبره بما يعظم في عين الواصلين اليه ويوقدون في المشهد الشموع ويوقدون فيه الاطياب ، ويجعلون لزيارته مواسم مخصوصة يتجمع فيها الجمع الجم فيبهر الزائر ويرى مايملأ عينه وسمعه من ضجيج الخلق وازدحامهم وتكالبهم على القرب من الميت والتمسح بأحجار قبره واعواده والاستغاثة به والالتجاء اليه وسؤاله قضاء الحاجات ونجاح الطلبات مع خضوعهم واستكانتهم وتقريبهم اليه نفائس الاموال ونحرهم اصناف النحائر فبمجموع هذه الامور مع تطاول الازمنة وانقراض القرن بعد القرن يظن الانسان في مبادئ عمره وأوائل أيامه ان ذلك من أعظم القربات وأفضل الطاعات ثم لاينفعه ماتعلمه من العلم بعد ذلك بل يذهل من كل حجة شرعية تدل على ان هذا هو الشرك بعينه واذا سمع من يقول ذلك انكره ونبا عنه سمعه وضاق به ذرعه ، لانه يبعد كل البعد ان ينقل ذهنه دفعة واحدة في وقت واحد عن شيء يعتقده من أعظم الطاعات الى كونه من اقبح القبحات وأكبر المحرمات ، مع كونه قد درج عليه الاسلاف ودب فيه الاخلاف ، وتعاودته العصور ، وتناوبته الدهور ، وهكذا كل شيء يقلد الناس فيه اسلافهم ويحكون العادات المستمرة ، وبهذه الذريعة الشيطانية ، والوسيلة الطاغوتية ، بقي المشرك من الجاهلية على شركه ، واليهودي على يهوديته ، والنصراني على نصرانيته ، والمبتدع على بدعته ، وصار المعروف منكرا والمنكر معروفا ، وتبدلت الامة بكثير (١) المسائل الشرعية غيرها ، وألفوا ذلك ومرنت عليه نفوسهم ، وقبلته قلوبهم ، وأنسوا اليه حتى لو اراد من يتصدى للارشاد ان يحملهم على المسائل الشرعية البيضاء النقية التي تبدلوا بها غيرها لنفروا عن ذلك ولم تقبله طبائعهم ، ونالوا ذلك المرشد بكل مكروه ، ومزقوا عرضه بكل لسان ، وهذا كثير موجود في كل فرقة من الفرق لاينكره الا من هو منهم في غفلة

وانظر ان كنت ممن يعتبر ما ابتليت به هذه الامة من التقليد للاموات في دين الله حتى صارت كل طائفة تعمل في جميع مسائل الدين بقول عالم من علماء المسلمين ولا تقبل قول غيره ولا ترضى به ، وليتها وقفت عند عدم القبول

---

(١) لعل الاصل : بكثير من المسائل

والرضى لكنها تجاوزت ذلك الى الحط على سائر علماء المسلمين والوضع من شأنهم وتضليلهم وتبديعهم والتغيير عنهم ، ثم تجاوزوا ذلك الى التفسيق والتكفير ، ثم زادوا الشر حتى صار أهل كل مذهب كاهل ملة مستقلة لهم نبي مستقل وهو ذلك العالم الذي قلدوه فليس الشرع الا ما قال به دون غيره ، وبالغوا وغلوا فجعلوا قوله مقدما على قول الله ورسوله ، وهل بعد هذه الفتنة والمحنة شيء من الفتن والمحن؟ فان انكرت هذا فهؤلاء المقلدون على ظهر البسيطة قد ملأوا الاقطار الاسلامية فاعمد على كل مذهب (١) وانظر الى مسألة من مسائل مذهبهم هي مخالفة لكتاب الله أو لسنة رسوله ثم أرشدهم الى الرجوع عنها الى ما قاله الله ورسوله وانظر بماذا يجيبونك ، فما أظنك تنجو من شرهم ، ولا تأمن من معرتهم ، وقد يستحلون لذلك دمك ومالك وأورعهم يستحل عرضك وعقوبتك ، وهذا يكفيك ان كان لك فطانة سليمة ، وفكرة مستقيمة

فانظر كيف خصوا بعض علماء المسلمين ، واقتدوا بهم في مسائل الدين ، ورفضوا الباقين ، بل جاوزوا هذا الى ان الاجماع ينعقد بأربعة من علماء هذه الامة وان الحجة قائمة بهم ، مع ان في عصر كل واحد منهم من هو أكثر علما منه ، فضلا عن العصر المتقدم على عصره والعصر المتأخر عن عصره ، وهذا يعرفه كل من يعرف أحوال الناس ، ثم تجاوزوا في ذلك الى انه لا اجتهاد لغيرهم بل هو مقصور عليهم ، فكان هذه الشريعة كانت لهم لا حظ لغيرهم فيها ، ولم يتفضل الله على عباده بما تفضل عليهم ، وكل عاقل يعلم ان هذه المزايا التي جعلوها لهؤلاء الائمة رحمهم الله تعالى ان كانت باعتبار كثرة علمهم وزيادته على علم غيرهم فهذا مدفوع عند كل من له اطلاع على أحوالهم وأحوال غيرهم ، فان في أتباع كل واحد منهم من هو أعلم منه ، لا ينكر هذا الا مكابر أو جاهل ، فكيف بمن لم يكن اتباعهم من المعاصرين لهم والمتقدمين عليهم والمتأخرين عنهم

وان كانت تلك المزايا بكثرة الورع والعبادة فالامر كما تقدم فان في معاصريهم والمتقدمين عليهم والمتأخرين عنهم من هو اكثر عبادة وورعا منهم لا ينكر هذا الامر الا من لم يعرف تراجم الناس بكتب التواريخ

وان كانت تلك المزايا بتقدم عصورهم فالصحابة رضي الله عنهم والتابعون اقدم منهم عصراً بلا خلاف وهم أحق بهذه المزايا ممن بعدهم لحديث « خير

(١) كذا والظاهر ان الاصل : فاعمد الى أهل كل مذهب

القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم »

وان كانت تلك المزايا لأمر عقلي فما هو ؟ او لامر شرعي فأين هو ؟ (١) ولا تنكر ان الله قد جعلهم بمحل من العلم والورع وصلابة الدين وانهم من أهل السبق في الفضائل والفواضل ، ولكن الشأن في التعصب لهم من اتباعهم القائل (٢) انه لا يجوز تقليد غيرهم ولا يعتد بخلافه ان خالف ، ولا يجوز لاحد من علماء المسلمين ان يخرج عن تقليدهم وان كان عارفا بكتاب الله وسنة رسوله قادرا على العمل بما فيهما متمكنا من استخراج المسائل الشرعية منهما ، فلم يكن مقصودنا الا التعجب لمن كان له عقل صحيح وفكر رجيح ، وتهون الامر عليه فيما نحن بصدده من الكلام على ما يفعله المعتقدون للاموات وانه لا يغتر العاقل بالكثرة ، وطول المهلة مع الغفلة ، فان ذلك لو كان دليلا على الحق لكان مازعمه المقلدون المذكورون حقا ، ولكان ما يفعله المعتقدون للاموات حقا وهذا عارض من القول أوردناه للتمثيل ولم يكن من مقصودنا

والذي نحن بصدده هو انه اذا خفي على بعض أهل العلم ماذكرناه وقررناه في حكم المعتقدين من للاموات لسبب من أسباب الخفاء التي قدمنا ذكرها ولم يتعقل ما سقناه من الحجج البرهانية القرآنية والعقلية فينبغي ان نسأله ماهو الشرك؟ فان قال هو ان تتخذ مع الله الهاً آخر كما كانت الجاهلية تتخذ الاصنام آلهة مع الله سبحانه (قيل له) وماذا كانت الاالجاهلية تصنعه لهذه الاصنام التي اتخذوها حتى صاروا مشركين ؟ فان قال كانوا يعظمونها ويقربون لها ويستغيثون بها وينادونها عند الحاجات وينحرون لها النحائر ونحو ذلك من الافعال الداخلة في مسمى العبادة — فقل له : لاي شيء كانوا يفعلون لها ذلك ؟ فان قال لكونها الخالقة الرازقة او المحيية او المميتة فاقرأ ما قدمنا لك من البراهين القرآنية

---

(١) الذي سمعناه من بعض شيوخنا المقلدين هو ان سبب حصرهم التقليد في فروع الفقه في أبي حنيفة ومالك والشافعي واحمد بن حنبل هو ان مذاهبهم قد نقلت وخدمت فصارت كافية للامة وفقه سائر المجتهدين من علماء الامصار كسفيان الثورى والاوزاعي قد انقرضت — وهذا القول مردود أيضاً فان مذاهب آل البيت عليهم السلام قد نقلت أيضاً وفيها مؤلفات حافلة . ومذاهب علماء الصحابة وعلماء التابعين قد نقل الكثير الطيب منها أهل الحديث بأصح من نقل أقوال أبي حنيفة وأصحابه مثلا (٢) لعل الاصل « القائلين »

المصرحة بأنهم مقرون بأن الله الخالق الرازق المحيي المميت وانهم انما عبدوها لتقربهم الى الله زلفى ، وقالوا هم شفعاء وهم عند الله ولم يعبدوها لغير ذلك ، فانه سيوافقك ولا محالة ان كان يعتقد ان كلام الله حق وبعد ان يوافقك أوضح له ان المعتقدين في القبور قد فعلوا هذه الافعال أو بعضها على الصفة التي قررناها وكررناها (١) في هذه الرسالة فانه ان بقي فيه بقية من انصاف وبارقة من علم وحصة من عقل فهو لا محالة يوافقك وتنجلي عنه الغمرة ، وتنقشع عن قلبه سحائب الغفلة ، ويعترف بأنه كان في حجاب ، عن معنى التوحيد الذي جاءت به السنة والكتاب ، فان زاغ عن الحق وكابر وجادل فان جاءك في مكابرته ومجادلته بشيء من الشبه فادفعه بالدفع الذي قد ذكرناه فيما سبق فانا لم ندع شبهة يمكن ان يدعيها مدع الا وقد أوضحنا أمرها ، وان لم يأت بشيء في جداله بل اقتصر على مجرد الخصام والدفع المجرد لما أوردته عليه من الكلام ، فاعدل معه عن حجة اللسان بالبرهان والقرآن الى محجة السيف والسنان ، فآخر الدواء الكي : هذا اذا لم يمكن دفعه بما هو دون ذلك من الضرب والحبس والتعزير فان امكن فتقديم الاخف على الاغلظ عملا بقوله تعالى (فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى) وبقوله تعالى (ادفع بالتي هي أحسن)

ومن جملة الشبه التي عرضت لبعض أهل العلم ماجزم به السيد العلامة محمد بن اسماعيل الامير رحمه الله تعالى في شرحه لأبياته التي يقول في أولها : * رجعت عن النظم الذي قلت في نجدي * فانه قال : ان كفر هؤلاء المعتقدين للاموات هو من الكفر العملي لا الكفر الجحودي ، ونقل ما ورد في كفر تارك الصلاة كما ورد في الاحاديث الصحيحة وكفر تارك الحج (٢) كما في قوله تعالى (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) ونحو ذلك من الادلة الواردة فيمن زنى ومن سرق ومن اتى امرأة حائضاً او امرأة في دبرها أو أتى كاهنا او عرافا أو قال لاخيه يا كافر . قال : فهذه الانواع من الكفر وان اطلقها الشارع على فعل هذه الكبائر فانه لا يخرج به العبد عن الايمان ويفارق به الملة ويباح به دمه ، وماله وأهله كما ظنه من لم يفرق بين

---

(١) كان الاصل قررناه وبيناه ولعله خطأ من الناسخ : (٢) المراد بما ورد في كفر تارك الحج قوله تعالى (ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين)

الكفرين ، ولم يميز بين الامرين وذكر ما عقده البخاري في صحيحه من كتاب الايمان (في كفر دون كفر) وما قاله العلامة ابن القيم ان الحكم بغير ما أنزل الله وترك الصلاة من الكفر العملي . وتحقيقه ان الكفر كفر عمل وكفر جحود وعناد فكفر الجحود ان يكفر بما علم ان الرسول جاء به من عند الله جحودا وعنادا فهذا الكفر يضاد الايمان من كل وجه ، وأما كفر العمل فهو نوعان نوع يضاد الايمان ونوع لا يضاده ،ثم نقل عن ابن القيم كلاما في هذا المعنى

ثم قال السيد المذكور : قلت ومن (هذا يعني الكفر العملي) من يدعو الاولياء ويهتف بهم عند الشدائد ويطوف بقبورهم ويقبل جدرانها وينذر لها بشيء من ماله فانه كفر عملي لا اعتقادي فانه مؤمن بالله وبرسوله صلى الله عليه وآله وسلم وباليوم الآخر ، لكن زين له الشيطان ان هؤلاء عباد الله الصالحين ينفعون ويشفعون ويضرون فاعتقدوا ذلك كما اعتقد ذلك أهل الجاهلية في الاصنام لكن هؤلاء مثبتون للتوحيد لله لا يجعلون الاولياء آلهة كما قاله الكفار انكارا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما دعاهم الى كلمة التوحيد (أجعل الآلهة الهاً واحدا؟) فهؤلاء جعلوا لله شركاء حقيقة فقالوا في التلبية: لبيك لاشريك لك ، الا شريكا هو لك ، تملكه وما ملك . فاثبتوا للاصنام شركة مع رب الانام وان كانت عباراتهم الضالة قد افادت انه لاشريك له لانه اذا كان يملكه وما ملك فليس شريك له تعالى بل مملوك ، فعباد الاصنام الذين جعلوا لله اندادا واتخذوا من دونه شركاء وتارة يقولون شفعاء يقربونهم الى الله زلفى، بخلاف جهلة المسلمين الذين اعتقدوا في أوليائهم النفع والضرفانهم مقرون لله بالوحدانية وافراده بالآلهية وصدقوا رسله فالذي أتوه من تعظيم الاولياء كفر عمل لا اعتقاد فالواجب وعظهم وتعريفهم جهلهم وزجرهم ولو بالتعزير كما أمرنا بحد الزاني والشارب والسارق من أهل الكفر العملي — الى ان قال — فهذه كلها قبائح محرمة من أعمال الجاهلية فهو من الكفر العملي ، وقد ثبت ان هذه الامة تفعل أمورا من أمور الجاهلية هي من الكفر العملي كحديث « أربع في أمتي من امر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر في الاحساب ،والطعن في الانساب ، والاستسقاء بالنجوم ، والنياحة » أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي مالك الاشعري . فهذه من الكفر

العملي (١) لاتخرج به الامة عن الملة بل هم مع اتيانهم بهذه الخصلة الجاهلية

(١) ان الخطأ الذي وقع فيه العلماء بسوء الفهم أقل من الخطأ الذي وقعوا فيه بسوء تطبيق الاعمال على النصوص وقد وقع هـذا العالم في كليهما فهو لم يعرف الفرق بين الكفر بالعمل والكفر بالاعتقاد ولا الفرق بين معنى الاله ومعنى الرب في المفهوم لاتحادهما في الماصدق . فأما كفر الاعتقاد فهو مخالفة عقائد الاسلام في مسألة اعتقادية وما ينشأ عنها من عمل كالاعمال الكثيرة التي يذكرها الفقهاء في باب الردة ، وأما الكفر العملي فهو الاتيان بعمل مما يحرمه الاسلام ويعمله الكفار غير صادر عن اعتقاد ديني كالنياحة على الميت والطعن في انساب الناس ، ومسألة دعاء الموتى والاستغاثة بهم والنذر لهم وغير ذلك مما ذكر في الرسالة من الاول كما أوضحه الامام الشوكاني هنا في الرد عليه ولكن غاية مافي هذا الرد ان يبين سبب تسمية مشركي العرب دعاء الاصنام وغيرها عبادة وتسميتها آلهة ، وهذا السبب هو انهم كانوا أهل اللغة وكل ما يدعى ويعتقد ان له سلطة وتأثيرا وراء الاسباب المشتركة بين جميع المخلوقات فاسمه في لغتهم اله ولكن لايطلقون عليه اسم الجلالة (الله) لانه اسم الرب الخالق وحده — وهذا الدعاء وكل تعظيم وعمل يوجه الى من يعتقد فيه ما ذكر فاسمه في لغتهم عبادة .

وأما هؤلاء المسلمون الذين سرت اليهم تلك العقيدة الوثنية وما نشأ عنها من أعمال العبادة ليسوا من أهل اللغة العربية بالملكة والسليقة بل لهم اصطلاحات دينية وغير دينية في لغتهم المأخوذ أصلها عن العرب فلذلك يخالفونهم في التسمية . والفرق الحقيقي بينهما في شركهما ان المنتمين الى الاسلام من هؤلاء القبوريين اذا علم ان اعتقاده وعمله مخالف لعقيدة الاسلام وشرعه فانه يتركه ولو تقليدا ، وأولئك كان تقليدهم في الشرك فلم يكن يرجعهم عنه الا البرهان العقلي والابقوا عليه . فالقبوريون قد اتخذوا أصحاب القبور التي يعظمونها آلهة وان لم يسموا عبادتهم باسمها العربي وان لم يسموهم آلهة والتسمية مسألة عرفية ، وعبدوا هذه القبور ومن دفن فيها بل سموها توسلا واستشفاعا وقد أثبت القرآن عين هذا التوسل والاستشفاع للمشركين

وأما الفرق بين معنى لاله والرب فهو ان الرب في لغة العرب هو السيد المالك والمربي والمتصرف في الاشياء وهو من أسماء الله تعالى ولاسيما اذا كان =

اضافهم الى نفسه فقال «من أمتي»

(فان قلت) أهل الجاهلية تقول في أصنامها انهم يقربونهم الى الله زلفى كما يقوله القبوريون ويقولون: هؤلاء شفعاؤنا عند الله. كما يقوله القبوريون (قلت) لا سواء فان القبوريين مثبتون للتوحيد لله قائلون انه لا اله الا هو ولو ضربت عنقه على ان يقول ان الولي اله مع الله لما قالها بل عنده اعتقاد جهل ان الولي لما اطاع الله كان له بطاعته عنده تعالى جاه به تقبل شفاعته ويرجى نفعه لا أنه اله مع الله، بخلاف الوثني فانه امتنع عن قول لا اله الا الله حتى ضربت عنقه زاعما ان وثنه اله مع الله ويسميه ربا والهاقال يوسف عليه السلام (أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار؟) سماهم أربابا لانهم كانوا يسمونهم بذلك كما قال الخليل «هذا ربي» في الثلاث الآيات مستفهما لهم مبكتا متكلما على خطابهم حيث يسمون الكواكب أربابا وقالوا (أجعل الآلهة الها واحدا؟) وقال قوم

= معرفا (الرب) وبينه وبين الاله عموم وخصوص مطلق يجتمعان بحق في اطلاقهما على الله تعالى وبالباطل في اطلاقهما على الكواكب عند من اعتقد أن لها تصرفا ذاتيا في الخلق والتدبير كقوم ابراهيم وعلى مصدري النور والظلمة والخير والشر عند القائلين بذلك من الفرس وغيرهم، وينفرد اسم الاله باطلاقه على ما عبد ولم يعتقد ان له تأثيرا في الخلق والتدبير كاصنام جاهلية قريش وغيرها من العرب فانهم لم يتخذوهم أربابا وانما عبدوهم بالدعاء والذبائح ونحو ذلك ليقربوهم الى الله تعالى ويشفعوا لهم عنده كما هو صريح الآيات الكثيرة التي تحتج عليهم بأن كون الله تعالى هو الرب الخالق المدبر النافع الضار كما يعتقدون انه يقتضي الا يعبد غيره. فشرك الالهية هو كل دعاء وتعظيم وعمل باعثه اعتقاد تأثير المعظم المدعو عند الله تعالى بحمله على جلب نفع او دفع ضر لولاه لم يفعله تعالى بمحض ارادته فيكون له اشتراك في حصول ذلك بتأثيره في ارادة الله، تعالى الله عن تأثير المؤثرات الحادثة.

والشرك في الربوبية نوعان (أحدهما) اعتقاد التأثير الذاتي في الخلق وتدبير أمور العالم فيما هو فوق الاسباب العادية المشتركة بين الخلق (والثاني) قبول التشريع الديني في العبادات والحلال والحرام من غير الله كما ورد في تفسير (اتخذوا احبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم فليراجع

ابراهيم (من فعل هذا بآلهتنا؟ أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم؟) وقال ابراهيم (أأفكا آلهة دون الله تريدون؟) ومن هنا يعلم ان الكفار غير مقرين بتوحيد الالهية والربوبية كما توهمه من توهم من قوله (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله - ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم * قل من يرزقكم من السماء والارض - الى قوله - فسيقولون الله) فهذا اقرار بتوحيد الخالقية والرازقية ونحوهما لا انه اقرار بتوحيد الالهية لانهم يجعلون أوثانهم أربابا كما عرفت ، فهذا الكفر الجاهلي كفر اعتقاد ومن لازمه كفر العمل ، بخلاف من اعتقد في الاولياء النفع والضر مع توحيد الله وايمان به وبرسوله وباليوم الآخر فانه كفر عمل ، فهذا تحقيق بالغ وايضاح لما هو الحق من غير افراط ولا تفريط . انتهى كلام السيد المذكور رحمه الله تعالى

وأقول هـذا الكلام في التحقيق ليس بتحقيق بالغ بل كلام متناقض متدافع ، وبيانه انه لاشك ان الكفر ينقسم الى كفر اعتقاد وكفر عمل لكن دعوى ان مايفعله المعتقدون في الاموات من كفر العمل في غاية الفساد ، فانه قد ذكر في هذا البحث ان كفر من اعتقد في الاولياء كفر عمل هذا عجيب ! كيف يقول كفر من يعتقد في الاولياء ويسمي ذلك اعتقادا ثم يقول انه من الكفر العملي ؟ وهل هذا الا التناقض البحت والتدافع الخالص ؟ انظر كيف ذكر في أول البحث ان كفر من يدعو الاولياء ويهتف بهم عند الشدائد ويطوف بقبورهم ويقبل جدرانها وينذر لها بشيء من ماله هو كفر عملي ، فليت شعري ماهو الحامل له على الدعاء والاستغاثة وتقبيل الجداران ونذر النذورات هل هو مجرد اللعب والعبث من دون اعتقاد؟ فهذا لا يفعله الا مجنون ، ام الباعث عليه الاعتقاد في الميت؟ فكيف لا يكون هذا من كفر الاعتقاد الذي لولاه لم يصدر فعل من تلك الافعال ؟ ثم انظر كيف اعترف بعد ان حكم على هـذا الكفر بأنه كفر عمل لا كفر اعتقاد بقوله « لكن زين له الشيطان ان هؤلاء عباد الله الصالحين ينفعون ويشفعون فاعتقد ذلك جهلا كما اعتقده أهل الجاهلية في الاصنام » فتأمل كيف حكم بأن هذا كفر اعتقاد ككفر أهل الجاهلية واثبت الاعتقاد واعتذر عنهم بأنه اعتقاد جهل

وليت شعري أي فائدة لكونه اعتقاد جهل؟ فان طوائف الكفر بأسرها وأهل الشرك قاطبة انما حملهم على الكفر ودفع الحق والبقاء على الباطل الاعتقاد

جهلا ، وهل يقول قائل ان اعتقادهم اعتقاد علم؟ حتى يكون اعتقاد الجهل عذر لاخوانهم المعتقدين في الاموات. ثم تمم الاعتذار بقوله : لكن هؤلاء مثبتون للتوحيد. الى آخر ما ذكره . ولا يخفاك ان هذا عذر باطل فان اثباتهم التوحيد ان كان بألسنتهم فقط فهم مشتركون في ذلك هم واليهود والنصارى والمشركون والمنافقون ، وان كان بافعالهم فقد اعتقدوا في الاموات ما اعتقده أهل الاصنام في أصنامهم ، ثم كرر هذا المعنى في كلامه وجعله السبب في رفع السيف عنهم وهو باطل فما ترتب عليه مثله باطل فلا نطول برده

بل هؤلاء القبوريون قد وصلوا الى حد في اعتقادهم في الاموات لم يبلغه المشركون في اعتقادهم في أصنامهم وهو ان الجاهلية كانوا اذا مسهم الضر دعوا الله وحده وانما يدعون أصنامهم مع عدم نزول الشدائد من الامور كما حكاه الله عنهم بقوله (واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه فلما نجا كم الى البر اعرضتم وكان الانسان كفورا) وبقوله تعالى (قل أرأيتكم ان أتا كم عذاب الله أو أتتكم الساعة اغير الله تدعون ان كنتم صادقين ؟) وبقوله تعالى (واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه ثم اذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعو اليه من قبل) وبقوله تعالى (واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين) بخلاف المعتقدين في الاموات فانها اذا دهتهم الشدائد استغاثوا بالاموات ، نذروا لهم النذور وقل من يستغيث بالله سبحانه في تلك الحال ، وهذا يعلمه كل من له بحث عن أحوالهم ، ولقد اخبرني بعض من ركب البحر للحج أنه اضطرب اضطرابا شديدا فسمع من أهل السفينة من الملاحين وغالب الراكبين معهم ينادون الاموات ويستغيثون بهم ولم يسمعهم يذكرون الله قط قال ولقد خشيت في تلك الحال الغرق لما شاهدته من الشرك بالله (١) وقد سمعنا عن جماعة من أهل البادية المتصلة بصنعاء ان كثيرا منهم اذا حدث له ولد جعل قسطاً من ماله لبعض الاموات المعتقدين ويقول انه قد اشترى ولده من ذلك الميت الفلاني بكذا فاذا عاش حتى يبلغ سن الاستقلال دفع ذلك الجعل

(١) قد تكرر وقوع مثل هذه الحادثة فتجد في مصر وبلاد الشام من يذكر مثلها . ومما نقل الينا منها ان بعض الموحدين لما سمع ركاب السفينة يستغيثون بهؤلاء الموتى ويدعونهم لانقاذهم بانقاذ السفينة : ياسيد يابدوي ، يادسوقي يامتبولي الخ دعا ربه قائلا : اغرق اغرق فانه لم يبق أحد يعرفك

لمن يعتكف على قبر ذلك الميت من المحتالين لكسب الاموال

وبالجملة فالسيد المذكور رحمه الله تعالى قد جرد النظر في بحثه السابق الى الاقرار بالتوحيد الظاهري واعتبر مجرد التكلم بكلمة التوحيد فقط من دون نظر الى ماينافي ذلك من افعال المتكلم بكلمة التوحيد ويخالفه من اعتقاده الذي صدرت عنه تلك الافعال المتعلقة بالاموات . وهذا الاعتبار لاينبغي التعويل عليه ولا الاشتغال به فالله سبحانه انما ينظر الى القلوب وما صدر من الافعال عن اعتقاد لا الى مجرد الالفاظ والا لما كان فرق بين المؤمن والمنافق

وأما مانقله السيد المذكور رحمه الله تعالى عن ابن القيم في أول كلامه من تقسيم الكفر الى عملي واعتقادي فهو كلام صحيح وعليه جمهور المحققين ولكن لايقول ابن القيم ولا غيره ان الاعتقاد في الاموات على الصفة التي ذكرها هو من الكفر العملي ، وسننقل هاهنا كلام ابن القيم في ان ما يفعله المعتقدون في الاموات من الشرك الاكبر كما نقله عنه السيد رحمه الله تعالى في كلامه السابق ثم نتبع ذلك بالنقل عن بعض أهل العلم فان السائل كثر الله فوائده قد طلب ذلك في سؤاله فنقول :

قال ابن القيم في شرح المنازل في باب التوبة : وأما الشرك فهو نوعان أكبر وأصغر ، فالاكبر لايغفره الله الا بالتوبة منه وهو ان يتخذ من دون الله ندا يحبه كما يحب الله بل أكثرهم يحبون آلهتهم أعظم من محبة الله ويغضبون لمنتقص معبوديهم من المشايخ أعظم مما يغضبون اذا انتقص أحد رب العالمين ، وقد شاهدنا هذا نحن وغيرنا منهم جهرة ، وترى أحدهم قد اتخذ ذكر معبوده على لسانه ان قام وان قعد وان عثر وهو لاينكر ذلك ويزعم انه باب حاجته الى الله وشفيعه عنده ، وهكذا كان عباد الاصنام سواء ، وهذا القدر هو الذي قام بقلوبهم وتوارثه المشركون بحسب اختلاف آلهتهم فأولئك كانت آلهتهم من الحجر وغيرهم اتخذها من البشر ، قال الله تعالى حاكيا عن اسلاف هؤلاء (والذين اتخذوا من دونه أولياء : مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ، ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون * ان الله لايهدي من هو كاذب كفار) وهكذا حال من اتخذ من دون الله وليا يزعم انه يقربه الى الله تعالى ، وما أعز من تخلص من هذا ! بل ما أعز من لا يعادي من أنكره ! ! والذي قام بقلوب هؤلاء المشركين ان آلهتهم تشفع لهم عند الله ، وهذا عين الشرك ، وقد أنكر الله ذلك

في كتابه وابطله ، واخبر ان الشفاعة كلها له . ثم ذكر الآية التي في سورة سبأ وهي قوله تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لايملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض) وتكلم عليها ثم قال : والقرآن مملوء من أمثالها ولكن أكثرالناس لايشعرون بدخول الواقع تحته ، ويظنه في قوم قد خلوا ولم يعقبوا وارثا ، وهذا هو الذي يحول بين القلب وبين فهم القرآن كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : انما تنقض عرى الاسلام عروة عروة اذا نشأ في الاسلام من لايعرف الجاهلية . وهذا لانه اذا لم يعرف الشرك وما عابه القرآن وذمه وقع فيه وأقره ودعا اليه وصوبه وحسنه وهو لايعرف انه هو الذي كان عليه أهل الجاهلية او نظيره أو شر منه أو دونه فتنقض بذلك عرى الاسلام ويعود المعروف منكرا والمنكر معروفا ، والبدعة سنة والسنة بدعة، ويكفر الرجل بمحض الايمان وتجريد التوحيد ويبدع بتجريد متابعة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ومفارقة الاهواء والبدع ومن له بصيرة وقلب حي سليم يرى ذلك عيانا والله المستعان . ثم في ذلك الكتاب

(فصل) وأما الشرك الاصغر فكثير كالرياء (١) والتصنع للخلق والحلف بغير الله كما ثبت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال « من حلف بغير الله فقد أشرك بالله » وقول الرجل للرجل ماشاء الله وشئت ، هذا من الله ومنك ، وأنا بالله وبك ، ومالي الا الله وانت ، وأنا متوكل على الله وعليك ، ولولا انت لم يكن كذا وكذا . وقد يكون هذا شركا أكبر بحسب حال قائله ومقصده .

ثم قال ابن القيم رحمه الله تعالى في ذلك الكتاب بعد فراغه من ذكر الشرك الاكبر والاصغر والتعريف لهما : ومن أنواع الشرك سجود المريد للشيخ ومن أنواعه التوبة للشيخ فانها شرك عظيم ، ومن أنواعه النذر لغير الله (٢) والتوكيل على غير الله ، والعمل لغير الله والانابة والخضوع والذل لغير الله وابتغاء

---

(١) في مدارج السالكين المطبوع بمطبعة المنار سنة ١٣٣٦ هـ « فكيسير الرياء » الخ : (٢) قد جعل ابن القيم الخوف والتوكل نوعا فقال : ومن أنواعه الخوف من غير الله والتوكل على غير الله والعمل لغير الله والانابة والذل لغير الله ، وابتغاء الرزق من عند غيره الخ

الرزق من عند غير الله(١) واضافة نعمه الى غيره ، ومن أنواعه طلب الحوائج من الموتى والاستغاثة بهم والتوجه اليهم وهذا أصل شرك العالم، فان الميت قد انقطع عمله وهو لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا فضلا لمن استغاث به أو سأله قضاء حاجته اوسأله ان يشفع له الى الله فيها ، وهذا من جهله بالشافع والمشفوع عنده (٢) فان الله تعالى لا يشفع عنده أحد الا باذنه ، والله لم يجعل استعانته وسؤاله سببا لاذنه وانما السبب لاذنه كمال التوحيد فجاء هذا المشرك بسبب يمنع الاذن وهو بمنزلة من استعان في حاجته بما يمنع حصولها وهذا حال كل مشرك والميت محتاج الى من يدعو له ويترحم عليه ويستغفر له كما أوصانا النبي صلى الله عليه وآله وسلم اذا زرنا قبور المسلمين أن نترحم عليهم ونسأل الله لهم العافية والمغفرة فعكس المشركون هذا وزاروهم زيارة العبادة لقضاء الحوائج والاستعانة بهم ، وجعلوا قبورهم أوثانا تعبد ، وسموا قصدها حجا ، واتخذوا عندها الوقفة وحلق الرءوس فجمعوا بين الشرك بالمعبود وتغيير دينه ومعاداة أهل التوحيد ونسبتهم الى التنقص بالاموات وهم قد تنقصوا الخالق بالشرك وأولياءه الموحدين المخلصين له الذين لم يشركوا به شيئا بذمهم ومعاداتهم وتنقصوا من أشركوا به غاية التنقص اذ ظنوا انهم راضون منهم بهذا وانهم أمروهم به وانهم يوالونهم عليه وهؤلاء أعداء الرسل في كل زمان ومكان وما أكثر المستجيبين لهم ! ولله در خليله ابراهيم عليه الصلاة والسلام حيث يقول : (واجنبني وبني ان نعبد الاصنام ، رب انهن اضللن كثيرا من الناس) وما نجا من هذا الشرك الاكبر الا من جرد توحيده لله وعادى المشركين في الله وتقرب بمقتهم الى الله . انتهى كلام ابن القيم

فانظر كيف صرح بأن ما يفعله هؤلاء المعتقدون في الاموات هو شرك أكبر بل أصل شرك العالم ، وما ذكره من المعاداة لهم فهو صحيح (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله — يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء — الى قوله — كفرنا بكم وبدا بيننا

(١) حذف المؤلف من بين هذه الفقرة والتي بعدها ثلاث فقرات وكذلك حذف قوله « واعتقاد ان يكون في الكون ما لا يشاؤه » التي هي آخر هذا النوع

(٢) الذي في المدارج « والمشفوع له عنده » الخ ويوجد اختلاف بين المنقول هنا وبين ما في نسختنا لا يعول عليه اذ هو من قبيل اختلاف النسخ لا يتغير المعنى به

وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده) وقال شيخ الاسلام تقي الدين في الاقناع: ان من دعا ميتا وان كان من الخلفاء الراشدين فهو كافر ، وان من شك في كفره فهو كافر: وقال أبو الوفاء بن عقيل في الفنون. لما صعبت التكاليف على الجهال والطغام عدلوا عن اوضاع الشرع الى تعظيم اوضاع وضعوها فسهلت عليهم اذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم ، وهم عندي كفار بهذه الاوضاع ،مثل تعظيم القبور وخطاب الموتى بالحوائج وكتب الرقاع فيها ـ :يامولاي افعل لي كذا وكذا ، أو القاء الخرق على الشجر اقتداء بمن عبد اللات والعزى انتهى

وقال ابن القيم في (اغاثة اللهفان) في انكار تعظيم القبور :وقد آل الامر بهؤلاء المشركين الى ان صنف بعض غلاتهم كتاباً سماه (مناسك المشاهد) ولا يخفى ان هذا مفارقة لدين الاسلام ، ودخول في دين عباد الاصنام انتهى وهذا الذي اشار اليه هو ابن المفيد (١)

وقال في النهر الفائق أعلم ان الشيخ قاسما قال في (شرح درر البحار) ان النذر الذي يقع من أكثر العوام بأن يأتي الى قبر بعض الصلحاء قائلا: ياسيدي فلان ان رد غائبي أو عوفي مريضي فلك من الذهب أو الفضة أو الشمع أو الزيت كذا باطل اجماعاً لوجوه ـ الى ان قال ـ ومنها ظن ان الميت يتصرف في الامر واعتقاد هذا كفر، انتهى. وهذا القائل من أئمة الحنفية ، وتأمل ما افاده من حكاية الاجماع على بطلان النذر المذكور وانه كفر عنده مع ذلك الاعتقاد

وقال صاحب (الروض) ان المسلم اذا ذبح للنبي صلى الله عليه وآله وسلم كفر انتهى وهذا القائل من أئمة الشافعية واذا كان الذبح لسيد الرسل صلى الله عليه وآله وسلم كفرا عنده فكيف بالذبح لسائر الاموات؟ وقال ابن حجر في شرح الاربعين له : من دعا غير الله فهو كافر انتهى

وقال شيخ الاسلام تقي الدين رحمه الله تعالى في الرسالة السنية: ان كل من غلا في نبي أو رجل صالح وجعل فيه نوعا من الالهية مثل ان يقول ياسيدي فلان اغثني أو انصرني او ارزقني أو أجبرني وانا في حسبك ونحو هذه الاقوال فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه فان تاب نجا والا قتل فان الله انما أرسل الرسل وأنزل الكتب ليعبد وحده لايجعل معه آله آخر، والذين يدعون مع الله آلهة أخرى مثل المسيح والملائكة والاصنام لم يكونوا يعتقدون انها

(١) أي الذي ألف كتاب « مناسك المشاهد »

تخلق الخلائق أو تنزل المطر أو تنبت النبات ، وانما كانوا يعبدونهم أو يعبدون قبورهم أو صورهم ويقولون انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى ، ويقولون : هؤلاء شفعاؤنا عند الله . فبعث الله رسله تنهى ان يدعى أحد من دونه لا دعاء عبادة ولا دعاء استغاثة وقال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه لا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا * أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب) الآية . قال طائفة من السلف كان أقوام يدعون المسيح وعزيرا والملائكة ثم قال في ذلك الكتاب : وعبادة الله وحده لا شريك له هي أصل الدين وهو التوحيد الذي بعث الله به الرسل وأنزل به الكتب قال الله تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) وقال تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا أنا فاعبدون) وكان صلى الله عليه وآله وسلم يحقق التوحيد ويعلمه أمته حتى قال له رجل ما شاء الله وشئت قال « أجعلتني لله ندا ؟ قل ما شاء الله وحده » ونهى عن الحلف بغير الله وقال « من حلف بغير الله فقد أشرك » وقال صلى الله عليه وآله وسلم في مرض موته « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » يحذر ما فعلوا ، وقال صلى الله عليه وآله وسلم « اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد » وقال صلى الله عليه وآله وسلم « لا تتخذوا قبري عيدا ولا بيوتكم قبورا وصلوا علي حيث ما كنتم فان صلاتكم تبلغني » ولهذا اتفق أئمة الاسلام على انه لا يشرع بناء المساجد على القبور ولا الصلاة عندها ، وذلك لان من أكثر الاسباب لعبادة الاوثان كان تعظيم القبور ولهذا اتفق العلماء على انه من سلم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم عند قبره انه لا يتمرغ بحجرته ولا يقبلها لانه انما يكون لاركان بيت الله فلا يشبه بيت المخلوق ببيت الخالق ، كل هذا لتحقيق التوحيد الذي هو أصل الدين ورأسه الذي لا يقبل الله عملا الا به ويغفر لصاحبه ولا يغفر لمن تركه كما قال الله تعالى (ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما) ولهذا كانت كلمة التوحيد أفضل الكلام وأعظمه ، وأعظم آية في القرآن آية الكرسي (الله لا اله الا هو الحي القيوم) وقال صلى الله عليه وآله وسلم « من كان آخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة » والاله هو الذي يألهه القلب عبادة له واستغاثة ورجاء له وخشية واجلالا ، انتهى

وقال أيضاً شيخ الاسلام تقي الدين ابن تيمية رحمه الله تعالى في كتابه (اقتضاء الصراط المستقيم) في الكلام على قوله (وما أهل به لغير الله) ان الظاهر انه ما ذبح لغير الله سواء لفظ به أولم يلفظ وتحريم هذا أظهر من تحريم ما ذبحه وقال فيه باسم المسيح ونحوه كما ان ما ذبحناه متقربين به الى الله كان أزكى مما ذبحناه للحم وقلنا عليه باسم الله، فان عبادة الله بالصلاة والنسك له أعظم من الاستعانة باسمه في فواتح الامور، والعبادة لغير الله أعظم من الاستعانة بغير الله، فلو ذبح لغير الله متقربا اليه يحرم وان قال فيه بسم الله كما قد يفعله طائفة من منافقي هذه الامة وان كان هؤلاء مرتدين لاتباح ذبيحتهم بحال لكن يجتمع في الذبيحة مانعان، ومن هذا ما يفعل بمكة وغيرها من الذبح، ثم قال في موضع آخر من هذا الكتاب: ان العلة في النهي عن الصلاة عند القبور ما يفضي اليه ذلك من الشرك. ذكر ذلك الامام الشافعي رحمه الله تعالى وغيره، وكذلك الائمة من أصحاب أحمد ومالك كأبي بكر الاثرم عللوا بهذه انتهى. وكلامه في هذا الباب واسع جدا وكذلك كلام غيره من أهل العلم

وقد تكلم جماعة من أئمة أهل البيت رضوان الله عليهم ومن اتباعهم رحمهم الله في هذه المسألة بما يشفي ويكفي ولا يتسع المقام لبسطه وآخر من كان منهم نكالا على القبوريين وعلى القبور الموضوعة على غير الصفة الشرعية مولانا الامام مهدي العباس بن الحسين بن القاسم رحمه الله فانه بالغ في هدم المشاهد التي كانت فتنة للناس وسببا لضلالهم وأتى على غالبها ونهى الناس عن قصدها والعكوف عليها وكان في عصره جماعة من أكابر العلماء توسلوا اليه بوسائل وكان ذلك هو الحامل له على نصرة الدين بهدم طواغيت القبوريين

وبالجملة فقد سردنا من أدلة الكتاب والسنة فيما سبق مالا يحتاج معه الى الاعتضاد بقول أحد من أهل العلم، ولكنا ذكرنا ما حررناه من أقوال أهل العلم مطابقة لمطلبة السائل كثر الله فوائده، وبالجملة فاخلاص التوحيد هو الامر الذي بعث الله لاجله رسله وأنزل به كتبه وفي هذا الاجمال ما يغني عن التفصيل، ولو اراد رجل ان يجمع ما ورد فى هذا المعنى من الكتاب والسنة لكان مجلدا ضخما. انظر فاتحة الكتاب التي تكرر في كل صلاة مرات من كل فرد من الافراد ويفتتح بها التالي لكتاب الله والمتعلم له فان فيها الارشاد الى

اخلاص التوحيد في مواضع فمن ذلك (بسم الله الرحمن الرحيم) فان علماء المعاني والبيان ذكروا انه يقدر المتعلق متأخرا ليفيد اختصاص البداية باسمه تعالى لا باسم غيره وفي هذا مالا يخفى من اخلاص التوحيد ، ومنها في قوله (الحمد لله رب العالمين) فان التعريف يفيد ان الحمد مقصور على الله واللام في لله يفيد اختصاص الحمد به ومقتضى هذا انه لاحمد لغيره أصلا ، وما وقع منه لغيره فهو في حكم العدم ، وقد تقرر ان الحمد هو الثناء باللسان على الجميل الاختياري لقصد التعظيم فلا ثناء الا عليه ولا جميل الا منه ولاتعظيم الا له ، وفي هذا من اخلاص التوحيد ماليس عليه مزيد ومن ذلك قوله (مالك يوم الدين) أو (ملك يوم الدين) على القراءتين السبعيتين فان كونه المالك ليوم الدين يفيد انه لاملك لغيره فلا ينفذ الا تصرفه لاتصرف أحد من خلقه من غير فرق بين نبي مرسل وملك مقرب وعبد صالح ، وهذا معنى كونه « ملك يوم الدين » فانه يفيد ان الامر أمره والحكم حكمه ليس لغيره معه أمر ولا حكم كما انه ليس لغير ملوك الارض معهم أمر ولا حكم ، ولله المثل الاعلى . وقد فسر الله هذا المعنى الاضافي المذكور في فاتحة الكتاب في موضع آخر من كتابه العزيز فقال (وما ادراك ما يوم الدين ؟ * ثم ما ادراك ما يوم الدين ؟ * يوم لاتملك نفس لنفس شيئا ، والامر يومئذ لله) ومن كان يفهم كلام العرب ونكته واسراره كفته هذه الآية عن غيرها من الادلة واندفعت لديه كل شبهة ومن ذلك (اياك نعبد) فان تقديم الضمير قد صرح أئمة المعاني والبيان وأئمة التفسير انه يفيد الاختصاص فالعبادة لله سبحانه ولا يشاركه فيها غيره ولا يستحقها ، وقد عرفت ان الاستغاثة والدعاء والتعظيم والذبح والتقرب من أنواع العبادة ومن ذلك قوله (واياك نستعين) فان تقديم الضمير ههنا يفيد الاختصاص كما تقدم وهو يقتضي انه لايشاركه غيره في الاستعانة به في الامور التي لايقدر عليها غيره ، فهذه خمسة مواضع في فاتحة الكتاب يفيد كل منها اخلاص التوحيد مع ان فاتحة الكتاب ليست الا سبع آيات فما ظنك بما في سائر الكتاب العزيز فذكرنا لهذه الخمسة المواضع في فاتحة الكتاب كالبرهان على ما ذكرناه من ان في الكتاب العزيز مايطول تعداده وتتعسر الاحاطة به ، ومما يصلح ان يكون موضعا سادسا لتلك المواضع الخمسة في فاتحة الكتاب قوله (رب العالمين) وقد تقرر لغة وشرعا ان العالم ماسوى الله سبحانه وصيغ الحصر اذا تتبعتها من كتب المعاني والبيان

والتفسير والاصول بلغت ثلاث عشرة صيغه فصاعدا ومن يشك في هذا فليتتبع كشاف الزمخشري فانه سيجد فيه ماليس له ذكر في كتب المعاني والبيان كالقاب فانه جعله من مقتضيات الحصر ولعله ذكر ذلك عند تفسيره للطاغوت وغير ذلك مما لايقتضي المقام بسطه ، ومع الاحاطة بصيغ الحصر المذكورة تكثر الادلة الدالة على اخلاص التوحيد وابطال الشرك بجميع اقسامه

واعلم ان السائل كثر الله فوائده ذكر في جملة ما سأل عنه انه لو قصد الانسان قبر رجل من المسلمين مشهور بالصلاح ووقف لديه وأدى الزيارة وسأل الله بأسمائه الحسنى وبما لهذا الميت من المنزلة هل تكون هذه البدعة عبادة لهذا الميت ويصدق عليه انه قد دعا غير الله وانه قد عبد غير الرحمن وسلب عنه اسم الايمان ؟ ويصدق على هذا القبر انه وثن من الاوثان ؟ ويحكم بردة ذلك الداعي والتفريق بينه وبين نسائه واستباحة أمواله ؟ ويعامل معاملة المرتدين ؟ أو يكون فاعلا معصية كبيرة أو مكروها ؟ (وأقول) أنا قد قدمنا في أوائل هذا الجواب انه لا بأس بالتوسل بنبي من الانبياء أو ولي من الاولياء أو عالم من العلماء وأوضحنا ذلك بما لامزيد عليه فهذا الذي جاء الى القبر زائرا ودعا الله وحده وتوسل بذلك الميت كان يقول: اللهم اني اسألك ان تشفيني من كذا وأتوسل اليك بما لهذا العبد الصالح من العبادة لك والمجاهدة فيك والتعلم والتعليم خالصا لك فهذا الاثر ورد في جوازه (١) لكن لاي معنى قام يمشي الى القبر ؟ فان كان لمحض الزيارة ولم يعزم على الدعاء والتوسل الا بعد تجريد القصد الى الزيارة فهذا ليس بممنوع فانه انما جاء ليزور وقد اذن لنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بزيارة القبور بحديث « كنت نهيتكم عن زيارة القبور الا فزوروها » وهو في الصحيح (٢) وخرج لزيارة الموتى ودعا لهم وعلمنا كيف نقول اذا نحن زرناهم وكان يقول « السلام عليكم دار قوم مؤمنين وانا بكم ان شاء الله لاحقون وأتاكم ماتوعدون نسأل الله لنا ولكم العافية » وهو أيضا في الصحيح بألفاظ وطرق

(١) تقدم في تعليقنا على هذا البحث أن سؤال المرء ربه ان ينفعه بعمل غيره مخالف للنصوص فراجعه في ص ٥ من هذه الرسالة (٢) زيارة القبور بقصد تذكر الآخرة والموت مشروعة وتعليل الاذن بزيارتها الناسخ للنهي عنها بتذكيرها بالموت والآخرة مصرح به في صحيح مسلم وكتب السنن وهو ينافي زيارتها للتبرك بها دع عبادتها ودعاء أصحابها

فلم يفعل هذا الزائر الا ماهو مأذون له به ومشروع لكن بشرط ان لا يشد راحلته ولا يعزم على سفر ولا يرحل كما ورد تقييد الاذن بالزيارة للقبور بحديث « لا تشد الرحال الا لثلاثة » وهو مقيد لمطلق الزيارة وقد خصص بمخصصات منها زيارة القبر الشريف النبوي المحمدي على صاحبه أفضل الصلاة والتسليم وفي ذلك خلاف بين العلماء وهي مسألة من المسائل التي طالت ذيولها ، واشتهرت أصولها ، وامتحن بسببها من امتحن وليس ذكر ذلك ههنا من مقصودنا ، وأما اذا لم يقصد مجرد الزيارة بل قصد المشي الى القبر ليفعل الدعاء عنده فقط وجعل الزيارة تابعة لذلك أو مشى لمجموع الزيارة والدعاء فقد كان يغنيه ان يتوسل الى الله بذلك الميت من الاعمال الصالحة من دون ان يمشي الى قبره

فان قال انما مشيت الى قبره لاشير اليه عند التوسل به فيقال له ان الذي يعلم السر وأخفى ويحول بين المرء وقلبه ، ويطلع على خفيات الضمائر ، وتنكشف لديه مكنونات السرائر ، لايحتاج منك الى هذه الاشارة التي زعمت انها الحاملة لك على قصد القبر والمشي اليه ، وقد كان يغنيك ان تذكر ذلك الميت باسمه العلم أو بما يتميز به عن غيره ، فما أراك مشيت لهذه الاشارة ، فان الذي تدعوه في كل مكان مع كل انسان ، بل مشيت لتسمع الميت توسلك به وتعطف قلبه عليك ، وتتخذ عنده يدا بقصده وزيارته والدعاء عنده والتوسل به ، وأنت ان رجعت الى نفسك وسألتها عن هذا المعنى فربما تقر لك به وتصدقك الخبر ، فان وجدت عندها هذا المعنى الدقيق ، الذي هو بالقبول منك حقيق ، فاعلم انه قد علق بقلبك ماعلق بقلوب عباد القبور ، ولكنك قهرت هذه النفس الخبيثة عن ان تترجم بلسانك عنها وتنشر ما انطوت عليه من محبة ذلك القبر والاعتقاد فيه والتعظيم له والاستغاثة به ، فأنت مالك لها من هذه الحيثية ، مملوك لها من الحيثية التي اقامتك من مقامك ومشت بك الى فوق القبر ، فان تداركت نفسك بعد هذه والا كانت المستولية عليك المتصرفة فيك المتلاعبة بك في جميع ماتهواه مما قد وسوس به لها الخناس ، الذي يوس في صدور الناس من الجنة والناس

(فان قلت) قد رجعت الى نفسي فلم أجد عندها شيئا من هذا وفتشتها فوجدتها صافية عن ذلك الكدر فما أظن الحامل لك على المشي الى القبر الا انك سمعت الناس يفعلون شيئاً ففعلته ، ويقولون شيئاً فقلته ، فاعلم ان هذه أول عقدة من عقود توحيدك ، وأول محنة من محن تقليدك ، فارجع تؤجر ، ولا تتقدم

تنحر ، فان هذا التقليد الذي حملك على هذه المشية الفارغة العاطلة الباطلة سيحملك على اخواتها فتقف على باب الشرك أولاً ، ثم تدخل منه ثانياً ، ثم تسكن فيه واليه ثالثاً ، وانت في ذلك كله تقول : سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته ، ورايتهم يفعلون أمراً ففعلته

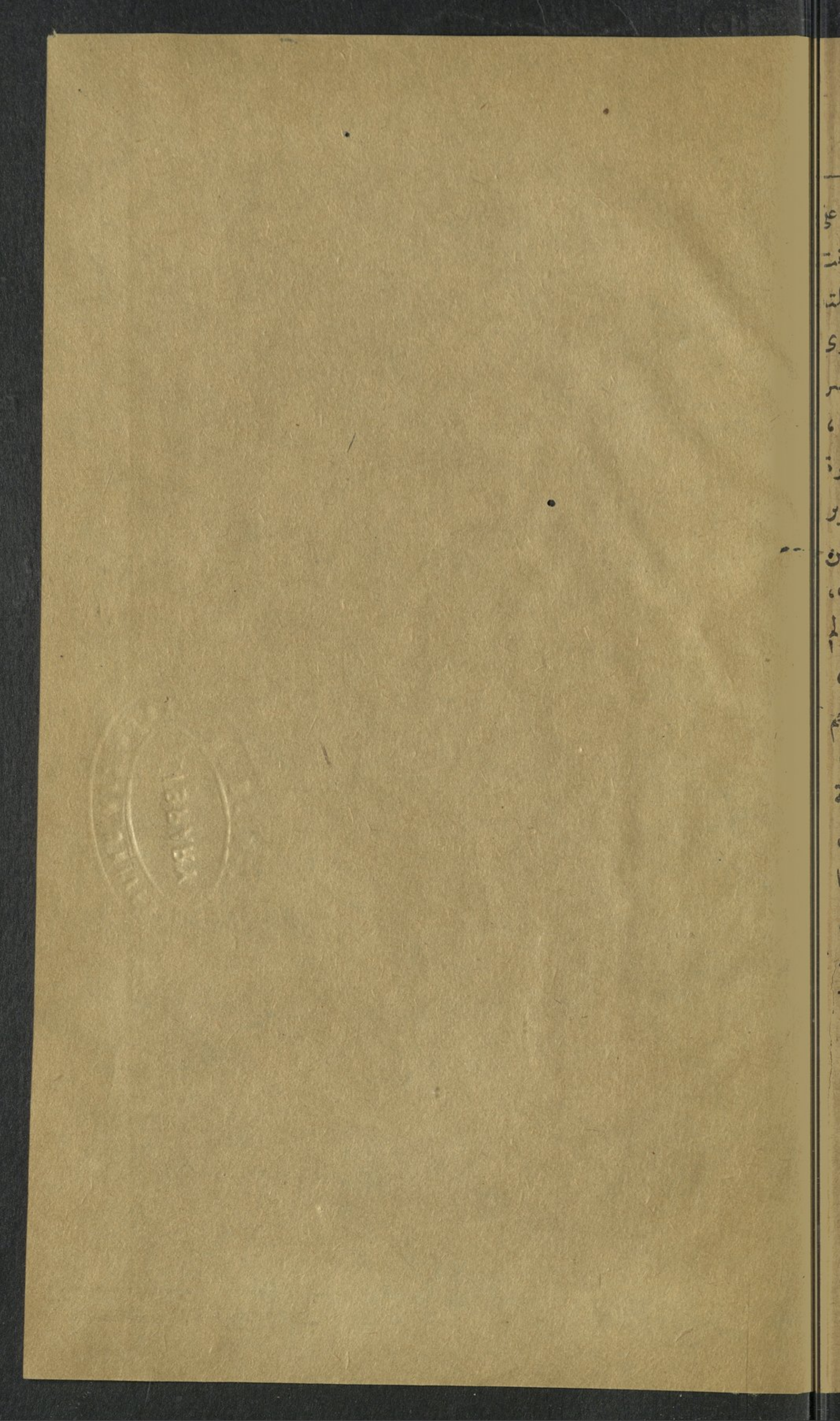
وان قلت انك على بصيرة في علمك وعملك ، ولست ممن ينقاد الى هوى نفسه كالاول ، ولا ممن يقهرها ولكنه يقلد الناس كالثاني ، بل أنت صافي السر نقي الضمير ، خالص الاعتقاد ، قوي اليقين ، صحيح التوحيد ، جيد التمييز ، كامل العرفان ، عالم بالسنة والقرآن ، فلا لمراد نفسك اتبعت ، ولا في هوة التقليد وقعت ، فقل لي بالله ما الحامل لك على التشبه بعباد القبور ، والتغرير على من كان في عداد سليمي الصدور ؟ ، فانه يراك الجاهل والخامل ، ومن هو عن علمك وتمييزك عاطل ، فيفعل كفعلك يقتدي بك ، وليس له بصيرة مثل بصيرتك ، ولا قوة في الدين مثل قوتك ، فيحكي فعلك صورة ويخالفه حقيقة ، ويعتقد انك لم تقصد هذا القبر الا لامر ، ويغتنم ابليس اللعين غربة (١) هذا المسكين الذي اقتدى بك ، واستن بسنتك ، فيستدرجه حتى يبلغ به الى حيث يريد ، فرحم الله امرأ هرب بنفسه عن غوائل التقليد ، واخلص عبادته للحميد المجيد ،

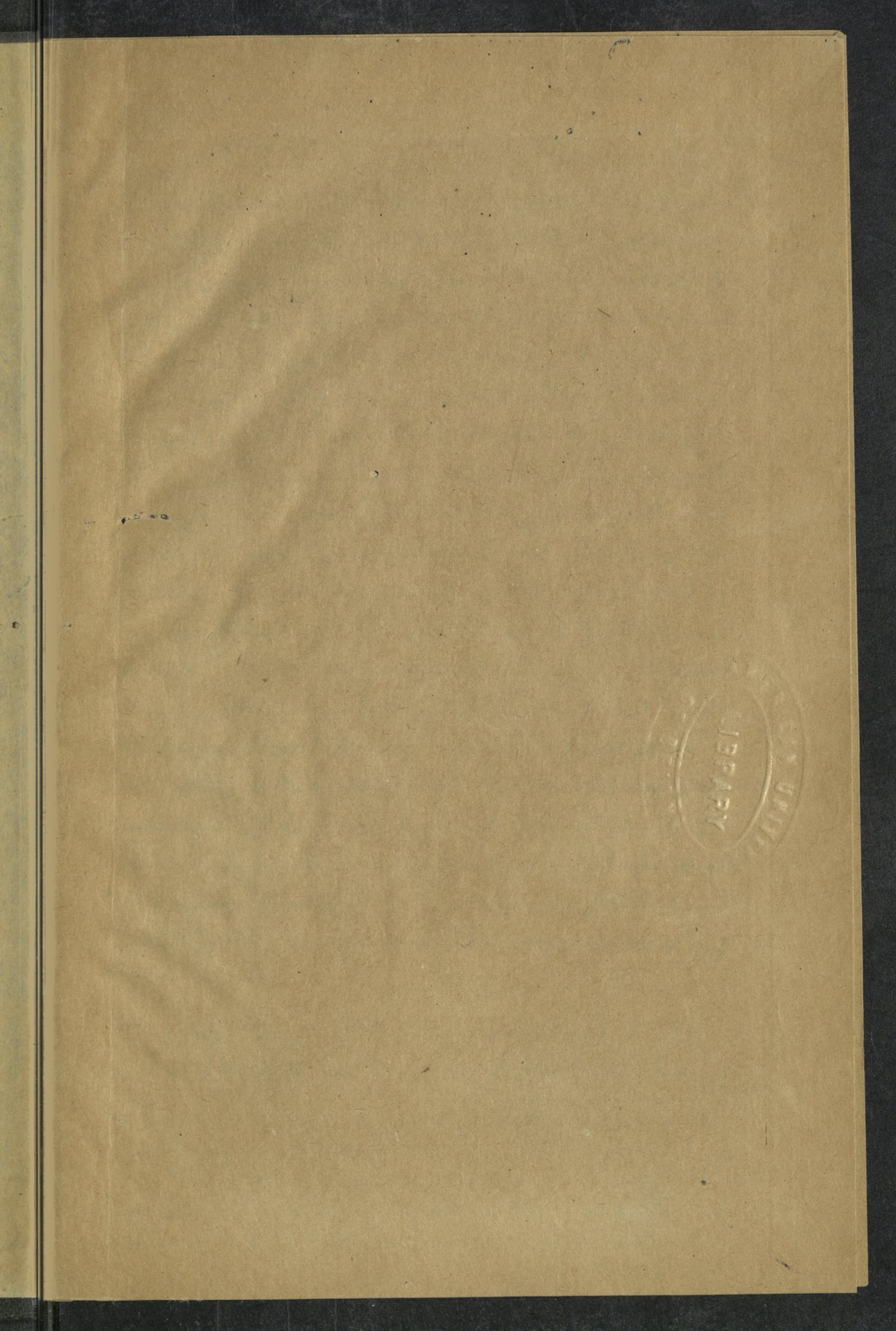
وقد ظهر بمجموع هذا التقسيم ان من يقصد القبر ليدعو عنده هو أحد ثلاثة ان مشى لقصد الزيارة فقط وعرض له الدعاء ولم يحصل بدعائه تغرير على الغير فذلك جائز ، وان مشى لقصد الدعاء فقط أوله مع الزيارة وكان له من الاعتقاد ما قدمنا فهو على خطر الوقوع في الشرك فضلا عن كونه عاصيا ، واذا لم يكن له اعتقاد في الميت على الصفة التي ذكرنا فهو عاص آثم ، وهذا أقل أحواله ، واحقر ما يربحه في رأس ماله ، (٢) وفي هذا المقدار كفاية ، لمن له هداية ، والله ولي التوفيق .

تمت

وكان الفراغ من كتابة هذا يوم الاحد ٢٦ في شهر شعبان عام سنة ١٣١٦ بقلم مالكها لنفسه أحمد بن عوض بن عبد الله المصلي غفر الله له ولوالدبه آمين

(١) لعله غرة وهي الغفلة (٢) كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم نهى عن زيارة القبور كما نهى عن اتخاذ الصور والتماثيل لانهما من اعمال الوثنيين ووسائل الشرك التي صارت مقاصد ، ولما استقر الاسلام وزال الشرك اذن بزيارة القبور للرجال دون النساء وعلله بقوله « فانها تذكركم الموت » وقوله « فانها تذكركم الآخرة » ، فزيارة القبور الشرعية المستحبة للرجال هي ما كان بهذا القصد فقط وما عداه فليس بشرعي وقد يكون معصية وقد يكون شركا كما كان من قبل كما وضحه المؤلف رحمه الله تعالى






AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT
UT VITAM HABEANT ABUNDANTIUS HABEANT
1866
الجامعة الاميركية في بيروت